بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة الإسلام والتصوف

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتا
تصدر عن مشيخة الطرق الصوفية

"ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"

صاحب المجلة
محمد محمود علوان
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

رئيس التحرير
محمد صبيح

سكرتير التحرير
طه عبد الباقي سرور

الاشتراك السنوي
٦٠
في الجمهورية العربية المتحدة
٥
ثمن العدد
العنوان
مشيخة الطرق الصوفية
بميدان سيدنا الحسين
القاهرة
تليفون ٥١٣٩٣

العدد الخامس « السنة الرابعة » ٢١ من ربيع الثاني عام ١٣٨١ هـ — ١ أكتوبر ١٩٦١ م

التربية الدينية في مدارسنا ومعاهدنا

هي التي تعد شبابنا لرسالة البعث الجديد

لسماحة السيد محمد محمود علوان

مع هذا العدد من مجلة « الإسلام والتصوف » تفتح جامعاتنا ومعاهدنا ومدارسنا أبوابها ، لأبنائنا من الجيل الصاعد الذي نعده لحمل الأمانة والرسالة التي أرست قواعدها وأطلقت شعاعها ، ثورتنا المباركة الهادفة .

وعلى ضفاف النيل وبردى ، تنسج اليوم الخيوط القوية ، لأعظم بعث فكري واجتماعي . يستهدف بناء أنه عربية موحدة حرة ، تدخل السباق الحضاري العالمي لتلحق بأمم الطليعة التي سبقتها بأشواط طوال .

ومثل هذا البعث العظيم ، الذى يستهدف الإنطلاق من الصفوف الخلفية إلى الصدارة الدولية ، يحتاج إلى جيل يرتفع إلى مستواه ، وإلى شباب يُصنع ويعد ويدرب ، علميا وخلقيا ، ونفسيا وإيمانيا ، ليكون كفاء رسالته ، وكفاء يومه وغده .

إن المصنع الأكبر الذى يجب أن نركز عليه جهدنا ، وأن نقيم عليه : أملنا ، وأن نحيطه برعايتنا ، ليكون الدعامة الكبرى لنهضتنا ، هو جيلنا الجديد ، الذى تخرجه مدارسنا وجامعاتنا .

هذا الجيل هو الدم الجديد ، الذى سيجرى فى عروق هذه الأمة الكبرى ، فيمنحها إرادة التفوق ، وعزيمة النضال ، والقدرة على الصمود والبناء ، بل القدرة على الأنطلاق ، فى الآفاق الفنية والفكرية ، التى تصنع حضارة الفضاء الكونى ، والطاقة الذرية .

هذا الجيل يجب أن ينشأ على المثل العليا ، مثل الإيمان بالواجب ، والإيمان بالوطن ، والإيمان بالفضيلة ، والإيمان بالتضحية ، والإيمان أولا وقبل كل شىء بالله مبدع هذا الوجود وملهمه .

هذه المثل العليا ، يجب أن يتلقاها شبابنا مع العلم الذى تمنحه له مدارسنا وجامعاتنا ، إنها هى التى تعصم هذا العلم من الجموح والتطرف ، وهى التى تحمى هذا الشباب ، من الإنحلال والتميع ، وهى التى تصنع لنا ، الجيل الجديد الذى يملك الطاقات النفسية والعقلية والخلقية ، التى تؤهله لحمل رسالة البعث الثورى ، والإنطلاق الحضارى .

وهذه المثل لاتحيا مشرقة ملهمة ، إلا فى حقول عقيدتنا الدينية المقدسة .

هذه العقيدة ، بما تلهم من أخلاق ، ومن آكراب ، ومن مثل ، ومن روح فدائى حى مرتبط بالله ، معتصم بهداه ، هذه العقيدة ، هى وحدها القادرة على أن تمنح شبابنا الطاقات الروحية التى تعده وتؤهله لرسالة الغد ، التى يقدمها له بطلنا الشامخ الرئيس جمال عبد الناصر .

ولقد شاهدنا كيف جمحت بعض الأقلام ، وكيف أخطأت وهى تندفع متحدثة عن رسالة الإشتراكية ، وعن الأخلاق الإشتراكية ، فراحت تقدم أفكارا هزيلة منحلة ، زاعمة أنها الأخلاق التى تتسق وتتفق مع المجتمع الإشتراكى .

إن الإشتراكية الناصرية ، إشتراكية عدالة اجتماعية ، تستهدف تكافؤ الفرص للناس كافة ، وعدالة طبقية ، ترنو إلى مجتمع سليم حر ، يقوم على الإخاء والحب ، لايعرف طبقية الأنساب والأحساب ، ولا طبقية المال والجاه ، بل مجتمع تقاربت وحداته ، وانتفت عداواته ، واندفعت متعاونة متساندة تبنى وطنها فى ثقة مطلقة بنفسها و بوطنها .

هذه العدالة الإجتماعية ، هى فى صميمها وفى جوهرها ، عدالة أخلاقية ، وعدالة دينية ، وهذا سر قوتها ، وسر فا عليتها ، وسراً انطلاقها فى قلوب الناس ووجدانهم .

إنها ثورة على الرجعية بكل ما يصاحبها من ظلم وظلام ، وثورة على التحلل والتميع الذى يصاحب المجتمع الرأسمالى المتطرف .

ومن هنا أصبحنا أحوج ما نكون إلى الفهم الصحيح لرسالة ديننا ، وإلى الفهم الصحيح للأخلاق والمثل التى يلهمها هذا الدين القيم .

ومن هنا أيضاً أصبحنا أحوج ما نكون إلى التربية الدينية كمادة أساسية فى مدارسنا ومعاهدنا ، حتى يتزود شبابنا ،مع العلم التجريبى ، بزاد الروح والإيمان ، ورحيق الأخلاق التى تعصمه وتصونه ، وتمنحه القدرة البناءة المتفوقة فى ساحات الصراع ، وميادين الحياة .

إن الأمراض النفسية ، والعاهات الخلقية ، التى تنجب الإستهتار بالأمانة و بالشرف و بالواجب ، لاتعالج بالعلم التجريبى ، ولا تستأصل بالتأهيل المهنى ، و إنما تجد الشفاء السريع والعلاج الحاسم ، فى التربية الروحية الدينية ، التى تربط الضمير بالله وتربط الواجب بالإيمان ، وتجعل من الدين والدنيا وحدة لاتنفصم ، وساحة لاتتجزأ .

ولقد كتبنا فى هذه المجلة مرحبين بالقرار الحكيم الهادف الذى أصدره السيد محافظ المنوفية ، والذى فرض على تلاميذ المحافظة جميعاً حفظ القرآن الكريم كمادة أساسية ، مع العناية بشرح آياته ، و بيان أهدافه وآدابه ومثله ، ورجونا لو عمم هذا القرار الحكيم ، فى كافة أنحاء الجمهورية العربية المتحدة .

ونحن من جديد ، مع العام الجديد ، نكرر الرجاء ، ونكرر الصيحة ، بضرورة العناية بالتربية الدينية فى كافة مراحل التعليم ، وأن ترتكز هذه التربية على القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة ، وأن يتولى أمر هذه التربية رجال من المؤمنين الفاقهين ، أصحاب العقول المضيئة ، والقلوب المخبتة

إننا أمة القرآن ، وفى القرآن حياتنا ، وفى القرآن هدى ونور ، لكل زمان ومكان ، ولكل بعث وتجديد .

والله ولى التوفيق ؟

سيادة الأستاذ أحمد التيجانى سى

سفير السنغال يقول

- التصوف حقائق خالدة توافق كل زمان ومكان
- سادة أفريقيا وأحرارها هم الصوفية
- بقر الإسلام القادم يبزغ من أفريقيا
- نحن فى حاجة إلى مزيد من علمكم ومن حبكم
- العلوم كلها فى القرآن حتى الصواريخ والذرة

تحت الشمس المتقدة المتوهجة ، و بين الروابى الخضر المتألقة ، وعلى أطراف العالم العربى ، فى الشمال الأفريقى ، تقع السنغال ، أرض الكنوز والأسرار والرجال أصحاب البأس الشديد فى القارة النامية الصاعدة .

القارة الأفريقية التى تتجه إليها أنظار الدنيا اليوم ، كمستودع لا تنفذ ثرواته وكنوزه ، وكقوة عملاقه منطلقة ، توشك أن تغير موازين القوى العالمية ، وأن تصنع وجها آخر للحضارة الإنسانية .

و إلى موكب الأحرار بخطوة الجبار انضم السنغال ، بعد أن حطم قيوده ، ومزق أغلاله وأخذ يرنو بأبصارة إلى مشرق النور ، فى أرض الإسلام والعروبة ، حيث أحبابه فى الجهاد ، و إخوانه فى العقيدة .

و إلى القاهرة قلب أفريقيا النابض ، ومركز الإشعاع الثورى الملهم لقوى التحرير فى الشعوب المناضلة ، أوفدت السنغال أول سفير لها فى الجمهورية العربية المتحدة .

وجاء سفير السنغال كفاء رسالته فى العاصمة الشامخة ، رجل من الطليعة المجاهدة ، ومفكر من الصفوة الهادفة ، ينتمى إلى بيت من أعرق بيوتات التصوف فى السنغال و ينتسب إلى إمام من أجل أئمة الإسلام ، و بين يديه اليوم بجدارة ميراث القيادة

الصوفية ، على أبناء الطريقة التيجانية ، التى تهيمن على الكثرة الساحقة ، من مسلمى غرب أفريقيا كافة .

وفى بيت كريم من بيوتات البطولة المؤمنة ، فى بيت الأمير المجاهد محمد عبد الكريم الخطابى ، كان لقائى الأول مع سيادة الأستاذ أحمد التيجانى سى سفير السنغال .

قامة صاعدة فى شباب متوثب حى ، وعينان فيهما شعاع الذكاء ، وفيهما فوق الشعاع روحانية خاشعة متلألئة ، ولسان عربى مبين ، يتدفق فى منطق هادف ، إلى كل أفق من آفاق الفكر ، ومن آفاق الجهاد الحر ، يتوج هذا كله إيمان بالله ، وبرسالة الإسلام وبمنهج التصوف فى التربية والسلوك والمعرفة .

وامتلأ قلبى بحديث السفير المسلم الصوفى فأحببت أن أجمع بينه وبين قراء — مجلة الإسلام والتصوف — يلتقون به على صفحاتها التى ترحب دائماً بكل لقاء وحديث ، يعمق فى القلب الروح والإيمان ، ويوسع قاعدة الحب والإخاء ، ويدعم صلات المودة والتعاون بين الشعوب ، التى تحمل اليوم أمانة الله فى أرضه ، وتحفظ وحيه بين عباده .

وتواعدنا على لقاء ، وفى غرفة السفير المطلة على النيل بفندق «هيلتون» كان هذا الحديث الممتع المشرق .

س : كيف انتشر الإسلام فى السنغال ، وما عدد المسلمين هناك ؟

ج : هناك طريقان سلكهما الإسلام ، وهو فى طريقه إلى السنغال ، ليخرج أهله من الظلمات إلى النور .

الطريق الأول ، كان عبر — موريتانيا — حيث جاء إلينا منه رجال من التجار العرب حيناً ، ومن الدعاة الصوفية أحياناً .

والطريق الثانى ، كان من المغرب العربى ، فى حدود القرن الرابع الهجرى ، حيث

أخذ رجال من المرابطين ، الذين نذروا أنفسهم لله وللدفاع عن الإسلام والدعوة إليه يتدفقون على السنغال دعاة مرشدين ، وبالموعظة الحسنة ، والأسوة الطيبة ، استطاع الصوفية من أبناء المغرب العربى ، أن يجعلوا للإسلام الكلمة الأولى فى السنغال .

وتبلغ نسبة المسلمين اليوم عندنا ٩٥٪ من أبناء السنغال .

س . ما هى أشهر الطرق الصوفية عندكم ، وكم يبلغ عدد أبنائها ؟

ج : أشهر الطرق الصوفية عندنا ، التيجانية ، ثم المريدية ، وعندنا عدد قليل من أتباع القادرية ، وحسبى أن أقول لك ، إن المسلمين عندنا صوفية جميعا تقريبا .

س : ما هى الوسائل التربوية التى تتبعها التيجانية فى إعداد مريديها ، ليكونوا مواطنين صالحين ؟

ج : لكى أقدم لك صورة كاملة عن هذه الوسائل ، أحب أن أحدثك عن زعيم من أكبر زعماء التيجانية ، بل من أكبر زعماء الإسلام فى أفريقيا ، هو جدى الحاج مالك ، وكان فى طليعة الأدباء المرموقين ، ومن حملة الأقلام المناضلين ، وعلاوة على هذا ، فسيادته زعيم مرموق فى ميادين الكفاح السياسى والوطنى ، وله عدة مشروعات هادفة ، نذكر منها مشروع بناء جامعة إسلامية فى مدينة — تفافون — ومشروع تنظيم الاتحاد للجمعيات الثقافية الإسلامية وتنظيم المدارس التابعة لها .

وأحب أن تعرف أن بلادنا من حيث الثقافة الدينية ، تعتبر متأخرة جداً عن الحالة عندكم .

فالوعى الدينى ضئيل هزيل ، ومن هنا سيطرت عندنا العادات والطقوس الهابطة وتحكمت فى قلوبنا وعقولنا .

ونظر جدى الحاج مالك فرأى أن المسلمين معرضين عن إنشاء المدارس والمستشفيات والمتاجر ، فقد سيطر عليهم شيوخ جهلة ، يقدمون لهم التمائم والتعاويذ لتمنحهم الصحة والمعرفة والمال ! ! ؟ دون عمل أو كفاح أو جهاد ونشأ عن هذا

أن تواكل أتباع هؤلاء الشيوخ وقنعوا وأخلدوا إلى الأرض وضربت عليهم الذل والمسكنة .

كان هؤلاء الشيوخ في الجهلة يتصايحون صباح مساء ، بأن كل تجديد أو تغيير هو بدعه ! ؟ وهو ضلالة ! ؟ كانوا يبيعون أسماء الله تعالى ، وكانوا يتقنعون بالأسرار وبالقداسة ، ويوهمون أتباعهم بقدرتهم على الخوارق ، ويزعمون أن هذا كله . . . من الكتاب ، ومن السنة ! !

نظر جدى إلى هذا كله ، فوضع منهجا تربويا ثقافيا إيمانيا لينير به القلوب والعقول ، ويرشد الناس إلى أنوار الكتاب ، وهدى السنة .

وأخذ يغير هذه المفاهيم الضالة ويكشف زيفها ، وصلتها بالإستعمار ، ويقول للناس : إن المدارس والمستشفيات والصناعات والعلوم ، ليست تغييراً فى الدين ولا بدعة فيه ، إن الدين يأمر بالعلم وبالعمل وبالقوة وبالعزة ، كما يأمر بالصلاة والزكاة .

إن المدارس والمستشفيات والصناعات الفنية ، والعلوم الحديثة ، ليست تغييراً فى الدين ، ولا بدعة فيه ، إن هناك تطوير وتغيير .

فالتغيير ، هو أن تغير شيئاً من الدين وهذا هو المنكر ، وأما التطوير ، فهو أن تجدد نفسك وعاداتك وتقاليدك ومعارفك ، بما هو أكمل وأهدى وأقوم

فالبدعة إن كانت حسنة ومستحسنة ، فهى من باب التطوير لا من باب التغيير .

والرسول صلوات الله عليه يقول : « من سن سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعلية وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » .

وكان يأمر أتباعه بالعمل وبالإحتراف ، ويجعلها ذروة الإيمان ، وكان ينهى عن التواكل ، وعن السؤال ، ويقول إن السؤال يقطع المريد عن الوصول إلى الله .

وكان يرسم المثل الصوفية العليا ويصورها فى صور فاتنة جميلة بسيطة ليقربها إلى العقول والقلوب

وكان يقول لما رأى انتشار الرشوة باسم الهدية : كانت الهدية هديه فى زمن الرسول ، أما اليوم فقد صارت رشوة ! !

وكان ينهى عن الأكل باسم الدين ، وعن أخذ الأموال باسم الشفاعة ، وكان يقول : أكلها باسم الدين ، شر من أكلها بالدف والمزمار ، لأن أكلها بالدين يصيب الأسلام كله .

وكان يقول لما رأى الشيوخ المزيفين : شرط الشيخ أن ينظر فى نفسه فإن علم منها الأتصاف بالعلم والتحقق بالعمل ، دعا من أحب ونصح المسلمين ، وإلا ترك المشيخة ، ونظر فى إصلاح نفسه ! ؟

وكان يقول حينما رأى الأحقاد والخصومات بين شيوخ المسلمين : أين الكتاب والسنة من هذه القلوب القاسية المتنازعة ؟ أين الكتاب والسنة من هذا الحقد الذى يملأ جو المساجد والزوايا ، وأين الكتاب والسنة من هذا التساقط الذى يجعل المسلم البسيط ، أولى بالأحترام ممن يدعى الإمامة فى السنغال ! ! ؟

جاهد جدى فى محاربة الشيوخ الجهلة ، ليمسح عن أعين أتباعهم غشاوة تضليلهم وخداعهم وجهلهم وجمودهم ، ثم أخذ ينشر بين أتباعه مبادىء الإسلام السمحة الفطرية ، الصدق والأمانة والشرف ، والمحبة والإخاء والعزة التى تأبى الخضوع لمستعمر ، ثم لقنهم بعد ذلك أدب السلوك الصوفى ومقاماته وعبادته .

ثم علمهم أن المسلم حقاً هو الأقوى والأعلى ، وهو صاحب الكرامة والعزة ، ولن تكون له هذه الصفات إلا إذا تعلم ومهر فى العلوم والفنون والصناعات ، وأخذ بأسباب الحياة وسننها ، واتجه إلى الله وحده ، ونفى عن قلبه أصنام الناس وأصنام المادة .

وهو جهاد لا يعرف قدره ومشقاته ، إلا من لمس حالة الأمية البدائية التى كان الناس عليها عندنا . . . ولعل فى هذا كله الجواب على سؤالك .

س : ما هو أثر التصوف فى نفسك وما هى الحكمة الذهبية الصوفية التى تتمثلون بها دائما ؟

ج : كنت فى أول أمرى أتتبع بعض الآثار التى تتعلق بحياة رجال الصوفية ، معجبا بأدبهم وإيمانهم وترفعهم ، وكنت أحب جدى لهذه الصفات حبا جما ولم أره ، وكان له صاحب يسمى بالأستاذ على بن إبراهيم ، وهو إنسان ليس له مثيل فى الفنون كلها ، كان عالما ورعا محبا للعبادة ، ويحب العلم إلى الغاية ، وكنت أتحدث معه فى كل ساعة ، وأنا فى الخامسة عشر من عمرى ، وربما قال لى : والله لو عاصرت جدك لكنت مسرورا به ، وكان مسرور بك ، وربما قال لى أيضاً : أفكار الجد تحيافيك .

ثم انبثق فى قلبى فى المرحلة التالية شكوك حادة حملتنى على ترك كثير من الكتب ثم أنقذنى الله من هذه الشكوك بالقرآن الكريم ، فأقبلت على حفظه وتدبره ومناقشة العلماء فى تفسيره .

وفى ذات يوم عرضت لى مشكلة فى تفسير بعض الآيات فذهبت إلى والدى الحاج أبو بكر خليفة التيجانية ، التمس لديه الحل الصحيح ، فقال لى : يا بنى العلم شىء واليقين شىء آخر ، فابحث عن العلم الذى يوصلك إلى اليقين .

ومن هنا أخذت أتذوق القرآن بقلبى وروحى فوجت برد اليقين ، وكان هذا سبيلى إلى التصوف الذى رأيت فيه خلق القرآن وأدبه وعزماته وحقائقه .

إن التصوف يلهم اليقين ، كما ينفذ إلى جوهر الحقيقة ، الحقيقة التى لا تخيم عليها العبارات التى تسمى باللغات .

وحقيقة الموت مثلا نحن نفزع إذا ذكر هذا الاسم — الموت — وذلك لأنه سمى بالموت ؟ ، وهذا الاسم يخيم على الحقيقة ، التى هى رجوع الإنسان إلى مقره الأخير ، رجوعه من هذا العالم المادى ، من هذه الآثام ، من هذه الفتن ، من هذه المصائب ، إلى الحضرة التى نشأ فيها من قبل .

هذه الحقائق التى هى جوهر التصوف ، وهو اليقين الذى يصل إليه الصوفى ،

أو هو المعرفة الباطنية ، ومن هنا كان جدى يقول : التربية بالهمة والحال ، خير من التربية الإصطلاحية

أما الحكمة الذهبية الصوفية التى لازمتنى دائماً ، فهى « دنيا الناس فى قلوبهم تستعبدهم ، ودنيا العارف فى يده يسخرها » .

س : باعتباركم خليفة للتيجانية فى السنغال ما هو المنهج الذى أعددته للنهوض بهذه الطريقة ؟

ج : توليت زعامة التيجانية بعد وفاة أبى منذ ثلاث سنوات ، فاتجهت بكل قواى إلى التنظيم الشامل ، فنظمت الطريقة تنظيما عصريا فى دوائر متعددة ، فى كل منطقة من المناطق دائرة مستقلة ولها مكتبتها ورئيسها وسكرتيرها وصندوقها .

ثم أخذت أحقق لهذه الدوائر وحدة على مستوى الكاتب — اتحاد الدوائر — هذا الإتحاد نظمنا له جمعية ثقافية إسلامية لتشرف على الدوائر وعلى الإتحاد ، وتحقق للشباب المثقف مجالا ينطلق فيه ، ويعمل فى أفقه ، وبذلك اتسعت مجالات دعوتنا وتطورت تطورا عصريا هادفا يلائم مقتضيات العصر وخطوه .

وفى الوقت نفسه حرصت الحرص كله ، على تزويد هذه الدوائر والإتحادات بالثقافة الإسلامية ، والتربية الروحية النقية ، وإعداد جيل من المرشدين الهداة ، الفاقهين لأدب التصوف ورسالة الإسلام ، فلاشراف الروحى ، ولتوجيه أبناء الطريقة إلى النشاط الحيوى العملى فى الحياة .

س : ما هو دور الطرق الصوفية فى نشر الإسلام فى أفريقيا .

ج : فى الإفريقية قابلية طبيعية للتصوف ، ولهذا استطاع الصوفية أن يمشوا بالإسلام إلى كل مكان فى أفريقيا ، مبشرين ودعاة يصاحبهم النجاح العظيم دائما .

كما وقفوا كالأسوار التى لا تقتحم فى وجه بعثات التبشير العالمية يحمون قلب أفريقيا وعقلها من إغرائهم وتبشيرهم

وإن نظرة إلى الكتب الأوروبية وما يكتب فيها ، وإلى ندوات المستشرقين وما يلقى فيها حول هذا الموضوع ، ليرشد إلى ضخامة الدور الذى يقوم به الصوفية نحو صبغ أفريقيا كلها بالصبغة الإسلامية .

س : ما هو مستقبل الإسلام فى أفريقيا ؟

ج : أفريقيا قارة الغد وقارة الإسلام بلا ريب ، وإنما أفريقيا تحتاج إلى معاونة العرب والمسلمين ، تحتاج إلى الثقافة الإسلامية ، وإلى التوجيه والإرشاد من إخوانهم العرب .

س : هل يصلح التصوف كوسيلة لأعداد المواطن الصالح فى عصر الذرة والفضاء .

ج : التصوف حقيقة خالده ، توافق كل عصر ، ولعل العالم اليوم أحوج ما يكون إلى الروحية الصوفية بما فيها من خلق وتسامى وحب و إخاء وتعاطف ومرحمة ، لكل كائن حى ، بل حب ومرحمة للكون كله .

والذرة من علوم الصوفية ، إن العلوم كلها تعود إلى الخالق سبحانه والصوفية يتعلمون العلم التجريبى ، كما يتلقون المدد والإلهام والمعرفة الربانية .

ولقد ألقيت محاضرة فى — دكار — تحت عنوان « الآيات منطق الألوهية » قلت فيها . إن هذة القنابل وهذه الصواريخ وكل شىء فى القرآن الكريم .

يقول الله تعالى « كانتا رتقا ففتقناهما » والصواريخ تنبعث رتقا ثم تتفتق فيهبط جسدها إلى الأرض ، و يصعد رأسها الأعلى إلى السماء .

و يقول سبحانه : « والسماء ذات الرجع ، والأرض ذات الصدع » يقول القرآن هذا فى عصر كانت الإنسانية فيه على فطرتها ، لا تعلم من أمر هذه المعرفة الكونية العليا شيئاً .

فالتصوف إذن تقدمى وعلمى ، لأنه يرتبط بالله المحيط بكل شىء بالله سبحانه الذى جاء قرآنه موجها العقول والقلوب إلى التأمل والتفكر فى ملكوت السماء والأرض لتعلم كل شىء ، وتحيط بكل شىء ، فيكون علمها واحاطتها عبادة وفقها وتصوفا خالصا لوجهه الأعلى .

ذلك التصوف يصلح هديا وتوجيها لعصر الذرة والفضاء ، كما يصلح هديا وتوجيها لأى عصر من العصور لأنه حقيقة من حقائق الروح ، ومن حقائق الإيمان ، والحقائق لا تتغير بزمان أو مكان .

الأسس الاجتماعية
فى التشريعات القرآنية

للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة

كل إجتماع يتجه إلى غاية رابطة، وتتضافر الجهود كلها للوصول إلى هذه الغاية، والغاية الإنسانية العالية هى فعل الخير وتجنب الشر، وما من جماعة فاضلة إلا جعلت الخير أساس اجتماعها، والإبتعاد عن الشر عنصر إتحادها ولكن ما هو الخير؟ وما هو الشر، وما هو الميزان الذى به يتميز الخبيث من الطيب ؟

إختلف الفلاسفة من أقدم العصور فى حقيقة الميزان الذى يمكن أن يكون ضابطا للقيم الخلقية لأفعال العباد. ففريق قال: إن المقياس هو الكمال المطلق، وفريق قال إن أصول الفضائل أربعة المعرفة والعدالة والشجاعة والعفة، وفريق قال إن المقياس هو المعرفة الصحيحة، وفريق قال إن المقياس هو الإعتدال، فالفضيلة وسط بين رذيلتين ..

والمذهب الذى راج فى العصور الأخيرة، واعتبر أساساً للقوانين الحاضرة، كما اعتبر أساساً لكل مجتمع فاضل هو مذهب المنفعة، وهو أن تكون الفضيلة أو الخير هو الأمر الذى يكون فيه أكبر نفع ممكن لأكبر عدد من الناس.

ولقد قرر هذا فى العصور الأخيرة الفيلسوفان الإنجليزيان بنتام، وأعتبره أصلا للقوانين وميزانا للخير والشر، وجون استوارت ميل، واعتبره ميزان الأخلاق والإجتماع الفاضل.

وإن الإستقراء أثبت أن الأسس الإجتماعية فى الأحكام القرآنية تقوم على المصلحة لأكبر عدد ممن يظلهم المجتمع بأكبر مقدار من السعادة الحسية والروحية ودفع بواعث الشر، وقد استطاع فقهاء الإسلام أن يردوا أصول المصالح الإجتماعية

إلى خمسة أمور تجب المحافظة عليها، حتى تقوم العلاقات الإجتماعية على أكمل وجه، وحتى يتجه المجتمع بكل قواه إلى أسلم غاية، وتلك الأمور الخمسة هى حفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ الدين، وحفظ المال، وإن إنحصار المصالح فى هذه الأمور الخمسة لأن الدنيا بنيت عليها، ولأن كل مجتمع فاضل يجب أن يجعل غايته العليا المحافظة عليها، وإن قوى المجتمع تتجه إلى المحافظة عليها وتحقيقها، ودفع الآفات الإجتماعية التى تعرض مصلحة من هذه المصالح للضرر، ولذلك حرص الشرع الإسلامى على أمرين:

أحدهما جلب المنفعة لأكبر عدد ممكن فى المجتمع.

وثانيهما دفع الضرر، وقرر أن دفع الضرر مقدم على جلب المنفعة إذا تساوت المنفعة مع الضرر، أو لم يكن تفاوت واضح بينهما، وإذ غلبت المصلحة على الضرر بقدر كبير واضح قدمت المصلحة، لأن منعها يعد فى ذاته ضرراً كبيراً والضرر الصغير يحتمل فى سبيل منع الضرر الكبير.

والمحافظة على النفس هى المحافظة على الحياة العزيزة الكريمة، ويدخل فيها منع الإعتداء على النفس أو الأطراف أو أى جزء من أجزاء الجسم، كما يدخل فيه المحافظة على السمعة والكرامة، والابتعاد عن مواطن الإهانة، ومن المحافظه على النفس، المحافظة على الحرية الشخصية، وحريه العمل، وحرية الفكر والرأى والإعتقاد، وحرية الإقامة والإنتقال، وغير ذلك مما تعد الحرية فيه من مقومات الحياة الإنسانية الحرة التى تزاول نشاطها فى دائرة المجتمع الفاضل، وإن الشارع الإسلامى والقوانين العادلة قد وضعت عقوبات لحمايه النفس، ومظاهر الكرامة فيها، إذا أنه من الواجب الإجتماعى منع الإعتداء على النفس فى أى مظهر من مظاهرها التى بيناها، بيد أن الإعتداء عليها يتفاوت وعلى ذلك يجب أن توضع عقوبات بمقدار ذلك التفاوت، فالإعتداء على الحياة ذاتها عقوبته أشد العقوبات، لأنه لا سبيل لدفعه فى المجتمع إلا بتشديد العقاب، ولذلك قال الله تعالى: « ولكم فى القصاص حياة » وما يكون إعتداء على أمر تثبت معه الحياة، ولكن لا تكون فى عزة بل

تكون فى ضيق كالإعتدا على الكرامة بالسب أو الرمى بأمر يتنافى مع الأخلاق الفاضلة كالرمى بالزنى ، فإن عقوبته تكون دون الأولى لأن الإيذاء فيها أقل للمجتمع ، ولأن دفعها لا يحتاج إلى قدر كبير من العقاب .

والمحافظة على العقل هى المحافظة عليه من أن تناله آفة تجعل صاحبه عبئاً على المجتمع ، ومصدر شر وأذى .

والمحافظة على العقل تتجه إلى نواح ثلاث :

أولاها — أن يكون كل عضو من أعضاء المجتمع سليما يمده بعناصر الخير والنفع ، فإن عقل كل إنسان ليس حقاً خالصاً لصاحبه ، بل هو باعتباره لبنة فى صرح ذلك المجتمع يتولى بعقله السليم سداد خلل فيه ، فكان حقاً على المجتمع كله أن يتولى العمل على سلامة ذلك العقل الذى يعد عنصراً فى بنائه .

الناحية الثانية — أن من يعرض عقله للآفات يكون هو عبئاً على الجماعه كما أشرنا ، فلم يفقد المجتمع عنصراً عاملا فقط ، بل إن من يفقد عقله يكون عبئاً ثقيلا وأن من حق المجتمع لهذا أن يحافظ على عقل كل شخص محافظة تمنع من أن تزيد الأعباء والتكليفات لحماية البناء الإجتماعى .

والناحية الثالثة — أن من يصاب عقله يتعدى أذاه ولا سبيل لدفع لذلك الأذى المتوقع عند نزول آفة بالعقل إلا بالمحافظة عليه ، ومنع كل شخص مما يؤدى إلى الأذى .

ومن أجل ذلك حرم الإسلام الخمر ، وكل ما من شأنه أن يؤثر فى العقل تأثيرها ، فكل أنواع المخدرات سواء أكانت مشروبات ، أم كانت غير مشروبات محرم فى الإسلام ، ووضع للمخدرات عقاباً شديداً ؛ لأنها فوق أنها تفسد العقول فى المجتمع تقطع حبال المودة فيه ، ومثلها فى ذلك الميسر ، ولذلك إجتمع تحريمها فى آية واحدة ، وقال تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

ومثل الخمر فى هذا مثل تلك المخدرات الشائعة كما نوهنا ، ولها عقاب الخمر الذى قرره الإسلام ، والقوانين الحاضرة تعاقب على المخدرات كالحشيش والأفيون والمورفين ولا تعاقب على الخمر ، فلم تكن منطقية ، إذ تعاقب على أحد المثلين ، وتترك الآخر يعب الناس منه عباً ، وهذا يخالف المقررات العقلية من أن ما يثبت لأحد المثلين يثبت للآخر .

والمحافظة على النسل : وهى المحافظة على النوع الإنسانى ، بحيث تكون الأجيال الإنسانية قد ربيت على أساس التآلف الإجتماعى وملاحظة حق الغير ، وأن يكون الجيل قوياً فى جسمه وفى عقله وفى دينه وفى خلقه ، وإن ذلك لا يكون إلا إذا ربى الطفل بين أبويه ، وإلا إذا كان لكل ولد كالئ يحميه ويحنو عليه ويرعاه ، وإن هذا يقتضى بلا ريب تنظيم الزواج تنظيما يكفل نسلا قويا ، ويكفل رعاية أبوية تتربى فيها كل العواطف الإنسانية التى تكون الألفة الإجتماعية ، وتبتدئ تلك الألفة فى محيط الأسرة ، ثم تتعدى إلى محيط الجماعة ، ثم تتعدى إلى الإنسانية كلها فتتسع لابن الإنسان حيث كان وأنى يكون .

ولذلك نظم الإسلام أحكام الزواج ، وحمى الحياة الزوجية ، ومنع الإعتداء عليها بأى نوع من أنواع الإعتداء ، وأن المحافظه على النسل اقتضت منع الإعتداء على الأعراض سواء أكان بالفاحشة ترتكب ، أم كان بالقذف بالزنى ، إذ من شأنه إشاعة الفاحشة فى المجتمع الفاضل فتفسده لأن الفاحشة إعتداء على الأمانة الإنسانية التى ودعها الله تعالى جسم الرجل والمرأة ، ليكون منها النسل والتوالد الذى يمنع فناء الجنس البشرى ، ويجعله يعيش عيشة هنيئة سهلة فيكثر النسل ويقوى ، والنسل فى ذاته ثروة وقوة ، فهو يوجد الثروة ، والثروة لا توجده .

ولا يكون النسل قوياً كثيراً إذا كان أساس العلاقة بين الرجل والمرأة غير الزواج الذى يباركه الدين ، ويستظل بظله .

ولذلك شدد الشارع الإسلامى فى عقوبة الزنى . وأشد الزنى زنى الزوج أو الزوجة ، لأنه إعتداء مباشر على النسل ، ولا سبيل إلى التساهل فيه ، ودون هذا عقاب الزنى من غير المتزوجين ، وكما عاقب الإسلام على الزنى عاقب أيضاً على

مايكون ذريعة إليه ، وعما يثير الشبه ، وعما يحرض على الفسق، فعاقب الذين يرمون الناس بالزنى ، وجعل عقوبة ذلك ثمانين جلدة ، أى أقل من عقوبة الزنى نفسه بعشرين جلدة ، وهذا لأن الترامى بالزنى وهتك الأعراض بالقول يؤدى إلى إشاعة الفاحشة فى المجتمع الفاضل، وهكذا عمل الإسلام على حماية النسل والنسب ، وحماية المجتمع من تلك الرذيلة التى يغضب لها أهل السماء وأهل الأرض .

والمحافظة على الدين : تكون بحماية العقائد من الدعايات الهادمة ، والإنحلال الدينى ، أيا كان الدين ، فإنه من المقررات الإسلامية أن من له دين ولو المجوسية غير ممن لا دين له ، وذلك لأن لدين رابط روحى ، وحصن نفسى يمنع المتدين من أن يتردى فيما يؤذى ويضر أو يقطع الألفة الإجتماعية ، ولأن التدين خاصة الإنسان من بين سائر الحيوان وإذا كان خاصة الإنسان فحمايته حماية لأقدس المعانى الإنسانية وأشرف الحقائق فى هذا الوجود وهو صلة المخلوق بالخالق ، وهو النور المنبعث من ابن الإرض إلى السماء ، فكان لا بد من حمايته ، وأن تتوافر حرية الإعتقاد ، كما قال تعالى : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ، ولقد أعتبرت الفتنة فى الدين أشد من القتل فمن أرهق أمرأ ففتنه فى دينه يكون كقتله أو أشد ، لأنه أصابه فى أقدس ما فى الإنسان ، وهو التدين الحر ولذا قال تعالى فى الفتنة فى الدين « والفتنة أشد من القتل » .

وإن الجماعات الفاضلة لا تعيش من غير دين يؤلف بين الآحاد ، ويجعلها جميعاً تتجه نحو المعانى السامية العليا ، ولا يفهم الحياة مادة وإزدحاماً حولها وتنازعا فى طلبها ، فإن النفرة والشقاء يكونان من وراء هذه المادية التى تهدم كما كل ما تبنيه الأخلاق الفاضلة .

والمحافظة على المال : تكون بمنع الإعتداء عليه بالسرقة أو الغضب ، وأكل أموال الناس بالباطل ، ومنع الرشوة والتغرير والنصب والإحتيال ، والمحافظة على المال كما تكون بذلك تكون بالعمل على تنميته ، وتوزيع بالعدل ، والمحافظة على إنتاج ما يثمر ويزيد فى ثروة الجماعات والآحاد من غير شطط ولا حيف ، وتكون المحافظة على المال بوضعه فى الأيدى القوية التى تستطيع حمايته وتنميته .

قد وضعت العقوبات الزاجرة المانعة للإعتداء على الأموال ، وكانت مرتبة بترتيب قوة الإعتداء فوضع للسرقة أقسى عقاب ، لأنها ضياع للمال حيث لا يمكن الإثبات ، إذ أن السارق يأخذ خفية حيث لا يطلع أحد ويروع الآمنين ، ويلقى بالهلع فى نفوس الناس ، وإن هذا الترويع ذاته يستحق عقاباً ، وضياع المال ذاته يستحق العقاب الأول ، وليست العبرة بقيمة ما سرق ، إنما العبرة بمقدار ما أنزل بالناس من فزع ؛ ودون السرقة الإغتصاب لأن الإغتصاب أخذ المال علنا ، وأخذ المال علنا يمكن أن يجرى فيه الإثبات ، فلا يضيع أصل المال حيث يمكن إثباته ، واسترداده ، ويلى هذا النصب ، ثم الغش والخديعة ، لأن ذلك وإن كان أكلا لمال الناس بالباطل للإرادة المخدوعة دخل فى ضياعه ، فكان حقاً على الرجل أن يحتاط لنفسه :

وهكذا نجد الجرائم تتفاوت بمقدار قوة الأعتداء ، ومع تفاوتها يتفاوت العقاب .

هذه هى المصالح التى أعتبرها الإسلام غاية من غايات الإجتماع الكبرى ، وهى لا تتحقق إلا إذا كان لها حام من القانون الرادع ، والأحكام الزاجرة ، ولذلك كان لابد للمجتمع فى الإسلام من عقوبات صارمة رادعة ، وقد بنيت العقوبات فى الإسلام على أساس دفع الفساد ، كما بنى التحليل والتحريم فى الإسلام على أساس مصلحة الجماعة الفاضلة .

وإنه من المقررات الثابته أن الله تعالى لم يخلق شيئا ضاراً ضرراً محضاً ، ولا شيئاً نافعاً نفعا محضا ، وإنما العبرة بالغالب فما غلبت المصلحة الجماعية فيه طالب الشارع به ، وما غلب الضرر الإجتماعى فيه منعه الشارع .

هذه هى اشارة موجزة إلى الأهداف التى قصد إليها الإسلام ليكون مجتمع فاضل تحكمه الفضيلة ، وتؤلف بين آحاده وتربطها بحبل الله القوى المتين .

وإن هذه الأهداف تدخل فى كل بناء إجتماعى ، فتدخل فى مجتمع الأسرة ، وفى المجتمع الصغير ، وفى مجتمع الأمة وفى علاقات بنى الإنسان بعضهم مع بعض مهما تختلف أجناسهم ، وأقاليمهم وأجناسهم وألوانهم ، إذا أنها نظم الحياة الفاضلة وقوانينها .

إعجاز القرآن

للدكتور محمد خلف الله أحمد

عميد كلية الآداب بجامعة الإسكندرية

من ميادين العلم التى تجلت فيها العبقرية الإسلامية ميدان إعجاز القرآن ، فقد شغل به العلماء منذ بدء النهضة التأليفية فى القرن الثانى الهجرى ، وانتهت جهودهم فيه — فى القرنين الرابع والخامس — إلى طائفة من أصحاب العقول العظيمة ، الذين عالجوا الموضوع معالجة تخصص واستقصاء وتنظيم .

وموضوع حديثنا علَم آخر من أعلام القرن الرابع عاصر الباقلانى ؛ وطرق مثله مسألة الإعجاز ، ولكنه نهج فيها نهجا أدبيا نقديا ، فاعتبر القرآن ذروة البيان ، وحاول أن يجعل من نقد الكلام العربى . وبيان وجوه البلاغة والفصاحة فيه وسيلة لفهم الإعجاز . ذلك هو أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكرى ، الأديب اللغوى العالم مؤلف كتاب « الصناعتين الكتابة والشعر » وطائفة أخرى من الكتب والرسائل فى اللغة والأدب وتفسير القرآن .

حدد « أبو هلال فى كتاب « الصناعتين » أهم باعث له على تأليفه ، فقال ماخلاصته : إن أحق العلوم بالتعلم — بعد معرفة الله جل ثناؤه — علم البلاغة والفصاحة الذى به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى ، الهادى إلى سبيل الرشد ، والمدلول به على صحة الرسالة . ومن المعلوم أن من أغفل معرفة البلاغة والفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعته ورونق الطلاوة وعذوبتها ، وسهولة الكلم وجزالتها ، إلى غير ذلك من محاسنه التى عجز الخلق عنها وتحيرت عقولهم فيها ، وإنما يعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه ، وقصورهم عن بلوغ غايته ، وذلك لعمرى نوع من المعرفه لا يليق بالمسلم المثقف . وما دامت المعرفة بصحة النبوة

تتلو المعرفة بالله جل اسمه ، فالعلم الذى يهدى إلى معرفة الإعجاز يجب أن يقدم على سائر العلوم بعد توحيد الله تعالى ، والتصديق بوعده ووعيده ، هذا إلى أن فى دراسة البلاغة العربية صقلا للذوق وعونا على الإبداع وهاديا إلى نقد الكلام ، وقد ألف فيها العلماء من قبل فجاء كلامهم ناقصا وغير منظم ، فرأى أبو هلال أن يعمل كتابه هذا مشتملا على جميع ما يحتاج إليه فى صنعة الكلام نثره ونظمه ، ويستعمل فى محاوله ومعقوده .

كانت أول خطوة فى مهمة المؤلف أن يبين عن حقيقة البلاغة ويشرح وجوهها وقد أدار الكلام فى هذا حول تعريف بدأبه ، وهو : « أن البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه فى نفسه ، لتمكنه فى نفسك ، مع صورة مقبولة ومعرض حسن . ثم نقل شطرا من كلام العلماء والحكماء فى الموضوع ولا سيما علماء الهند ، إذ نقل عن بعضهم قوله : « إن البلاغة وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة » ، وشرح ذلك ممثلا لوضوح الدلالة بقول الله سبحانه (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) ، « فهذه دلالة واضحة على أن الله تعالى قادر على إعادة الخلق ، وهى مستغنية بنفسها عن الزيادة فيها ، لأن الإعادة ليست أصعب فى العقول من الإبتداء » ، ثم قال تعالى : (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) ، « فزادها شرحا وقوة ، لأن من يخرج النار من أجزاء الماء — وهما ضدان ليس بمنكر عليه أن يعيد ما أفناه » ، ثم قال تعالى : (أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم !) « فقواها أيضاً وزاد فى شرحها وبلغ بها غاية الإيضاح والتوكيد ، لأن إعادة الخلق ليست بأصعب فى العقول من خلق السموات والأرض ابتداء » .

على هذا الأساس مضى « أبو هلال » فى الأبواب النظرية الأولى من كتابه ، فتناول النواحى التى تميز جيد الكلام من رديئه ، وحلل صنعة الكلام ، وأبان عما

يحقق له حسن السبك وجودة الرصف ، ووضح ما يتطلبه البيان العالى من إيجاز أو إطناب ، وما يستعين به فى تنويع الأداء من تشبيه أو مجاز ، أو مستمدا من القرآن ومن بليغ الكلام نثره وشعره ما يجلوا به تلك التصورات البيانية .

فإذا تكلم عن الإيجاز وجده على أكمل صورة فى قوله تعالى : (ولكم فى القصاص حياة) ، (ومن يتق الله فهو حسبه) ، (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) ، (ألا له الخلق والأمر) ، (وله ما سكن فى الليل والنهار) .

و إذا انتقل إلى الإطناب بين أنه محمود فى المواعظ خاصة ، مثل له بقوله تعالى : (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ، أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون . أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون) ، فتكرير ما كرر من الألفاظ هى فى غاية حسن الموقع كما يقول أبو هلال . ومن طريف مايذكره هنا إشارته إلى ما لوحظ فى أسلوب القرآن من أنه إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الأشارة والوحى ، و إذا خاطب « بنى إسرائيل » أوحكى عنهم جعل الكلام مبسوطا ، فما خاطب به أهل مكة قوله : (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) ، وذلك قول يعتمد فى إدراكه على فطانة المخاطبين وحسن إدراكهم ، وقلما تجد قصة لبنى إسرائيل فى القرآن إلا مطولة مشروحة ومكررة فى مواضع معادة ، لبعد فهمهم كان وتأخر معرفتهم .

ويطيل المؤلف الكلام عن التشبيه ، فيذكر أنه يزيد المعنى وضوحا ويكسبه تأكيدا ، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب و العجم عليه ، ولم يستغن أحد منهم عنه ، وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية من كل جيل ما يستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل لسان ، وللقرآن فى هذا المثل الأعلى ، ففيه : (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) ، (والذين يدعون من دون الله لا يستجيبون لهم

بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) ، (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) . . . وينقل المؤلف فى هذا الباب كثيرا من تشبيهات صاحب كليلة ودمنة ، وطائفة كبيرة من رائق الأشعار .

وإذ يفرغ أبو هلال من مهمة تحديد المبادىء العامة لنقد الكلام ، ينتقل إلى المهمة الثانية فى كتابه ، وهى تنمية الثروة البديعية التى جمعها « ابن المعتز » فى القرن الثالث فى كتابه « البديع » ، وقد أوصل أبو هلال هذه الأنواع إلى خمسة وثلاثين ، عقد لكل منها فصلا ، شرح فيه ما هيته ، واستدل له بالنماذج القرآنية والأدبية الكثيرة وهذه الأبواب تشمل معظم الأساليب التصويرية التى يستعين بها صاحب الفن الأدبى على تصريف الكلام وتحسينه ، وزيادة تأثيره فى النفوس .

بهذا نجح المؤلف فيما قصد إليه من بيان وجوه الجودة والجمال فى الكلام ، وتمثلها على أتم صورها فى القرآن ، وهكذا كسبت دراسات البيان العربى — بحافز من إعجاز القرآن — كتابا حافلا بالنصوص الجميلة ، وبتمهيد لا بأس به فى بحث طبيعة الجمال الأدبى .

وقد أعان المؤلف على هذا النجاح ثقافته الأدبية واللغوية والشرعية الواسعة ، كما يدل على ذلك تنوع جهوده فى التأليف ، ومحاولته أن يسد بكل مؤلف نقصا بدأ له فى ناحية من نواحى العلم ، فمذ لاحظ قلة الكتب التى عنيت ببيان الفروق اللغوية الدقيقة بين المعانى المتقاربة : كالعلم والمعرفة ! والذكاء والفطنة ، والكذب والإفك ، وغيرها ، أنشأ كتابا سماه بذلك الإسم « الفروق اللغوية » وأدار الكلام فيه على ما يعرض من الفروق فى كتاب الله ، وما يجرى فى ألفاظ الفقها والمتكلمين وسائر محاورات الناس ، وحين رأى قلة الدواوين التى تجمع فنون الأدب المختار فى نظمه ونثره وأخباره ، جمع من هذا مجموعة حافلة منظمة سماها « ديوان المعانى » وقسمها اثنى عشر بابا تتضمن أحسن ما قيل فى وصف الناس والطبيعة وظواهر الحياة .

وإذا كان أبو هلال لم يترك لنا نظرية واضحة فى إعجاز القرآن ، أو بحثا متعمقا فى طبيعة الأدب ، فإن فى الدراسات الإسلامية والأدبية التى خلفها تراثا خصبا جديرا بالإحياء والتقدير .

الإسلام لا يقر كلمة « أنا » . .

للأستاذ محمد لبيب البوهى

تنهض وحدة الشعوب الإسلامية على أساس متين من روح الإسلام فهذه المنطقة هى منزل الوحى وموطن الرسالات ومن خصائص الإسلام أنه يصهر بنيه فى بوتقة الوحدة و يجعل الفرد ينظر إلى الكل نظرة شاملة فلا يقف عند حدود سعادته الشخصية فهو حين يصل أسبابه بأسباب السماء تتسع آفاق حياته ويصبح معنى القومية عنده أكثر من حدود الأرض والمنافع اليومية ونحن نرى عجائب لا يمكن أن نراها فى أى أمة أخرى تصل إلى حد المعجزات التى تفوق الطاقة البشريه حين نرى إثنين يتلاقيان أحدهما أنصارى فى المدينة والآخر مهاجر من مكة تجمع بينهما روح المؤاخاه حتى يقاسمه داره وماله ومتاعه .

فالإسلام يقول :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

بل إنه ليبدأ فى رسم الطريق الأصلى للوحدة القائمة على المؤاخاه فيجعل السعادة الأخروية قائمة على تحقيق هذه الوحدة على الأرض بمعناها السليم .

ولما كانت الحياة الإجتماعية هى التى تمثل بداية تكوين القومية وكان جار الإنسان أقرب أفراد المجتمع إليه فإذا حسنت الصلة بالجار بدأت الأخلاق الإجتماعية اللازمة للبناء القومى السليم تتكون على أساس متين .

لذلك يوصى الإسلام بنيه بالجار .

« لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه » .

* * *

فالإسلام ينهض أولا وقبل كل شئ على المعنى الروحى الذى لا يعرف حدود

المكان . لأنه حركة داخلية فى أعماق النفس . وبذلك تتكون روح الجماعة التى ينبثق منها الشعور الإجتماعى الذى يبدأ من الفرد إلى الجار إلى المحيط الخاص فالمحيط العام حتى تصبح روحاً شاملة لا تفرق بين أمة وأمة ولا بين شعب وشعب . . ولا توجد على الأرض قومية نشأت على العقيدة غير القومية الإسلامية ولذلك كتب لها الخلود بينما دالت وانهارت قوميات على مدار التاريخ .

إن القوميات التى تتكون على مصالح خاصه هى قوميات زائلة أو مفتعله ولكن القوميات التى تتخذ لها رباطاروحيا يشد بنيها جميعاً يتولد منه نوع من الولاء الأسمى لشىء أكبر من المكان والزمان إنه الولاء لروح القوميه فينشأ الفرد وهو طفل ويتعرف إلى الناس الذين من حوله بروح من العاطفية بل أنه ليتعرف أيضاً إلى الأشياء والجمادات ويعمل على أن تكون بينه وبينها لونا من ألوان العاطفه الصامته .

وقد كان النبى محمد يطلق أسماء ذات معانى بهيجه على أدواته التى يستعملها فى حياته العامه كأنه يكرم روحها .

وقد تأيدت نظرية المشاركة الوجدانية لدى علماء النفس فى العصور الحديثة فيرى « مكدوجل » أن العاطفة التى تتمثل فى كل الأشياء المحيطة بالإنسان

* * *

تشده إليها فهو يرى نفسه ذكرياته متصلة بها وكما يحس بعاطفة الأبوة نحو أبيه وعاطفة الأخوة نحو أخيه كذلك يشعر بنوع من الولاء للجدول الذى روى ظمأه والحديقة التى أبهجت نفسه والبيت الذى آواه . والوطن الذى نشر عليه ظل حمايته .

إن هذه التربية الإسلامية التى هى أساس القوميه العربية هى التى تقيم علاقة وثيقة فوق العلاقة المادية بين الأنسان وهو طفل وبين كل ماحوله من الناس والجمادات وعلى ذلك ينشأ وتتكون شخصية ويبدأ يكتب تاريخ حياته .

وهذه الروح الإسلامية تأخذ طابعها العام حتى فى الحروب فبينما نرى العدو

يدمر كل ما يمتلكه عدوه إذا بالقواد العرب يوصون الجند حين يدخلون بلداً ألا يقتلوا بريئا ولا يحرقوا شجرة ويقول لهم عمر بن الخطاب إنكم سترون أقواما قد إعتكفوا للعبادة فدعوهم فى عبادتهم . . . والفتح الإسلامى هو طراز فريد عجيب فى الغزو الروحى إنه إفساح المجال لمعانى من عالم الروح كى تنير الطريق للآخرين فهى ليست فتوحات قائمة على الإستغلال والرغبة فى إذلال الآخرين .

بل العمل لخير الأخرين هو محاولة لتكوين مجتمع إنسانى قائم على المثاليات التى تنبع من عالم الروح لتخليص المجتمع الإنسانى من شروره ومتاعبه .

ومن خصائص الإسلام أنه يلغى من حياة الإنسان المعنى الفردى . . . فلا يقف الإنسان فوق قمة غروره ليقول أنا .

إن هذه الأنانية كبيرة الكبائر فالحياة التى يحياها الفرد حين يعتزل كل شىء تصبح حياة سلبية ولا يمكن أن تسمى هذه حرية ابدا . حرية الفرد فى الأنعزال عن قضايا المجتمع ومشاكله وهو أمر مناف لطبيعة الحياة .

فالفرد ينشأ متعلقا بالعقائد والتقاليد والعادات التى تسود مجتمعه بل أنه لن يستطيع أن يدافع عن كيانه ما لم يكن مسلحا بكل هذا ويرى أنه جزء لا يتجزأ من المجتمع الكبير فكل ضرر يصاب به المجتمع سيعود عليه منه نصيب كبير .

ولذلك فإن الإسلام لا يفرض على بنيه قواعد إجبارية يلزمهم باعتناقها قسرا بل هو منهج تربوى يبدأ كما قلنا من الجار ثم يظل الأمتداد الإجتماعى حتى يشمل النادى . . والقرية . . والبلد والعمل ويبدأ الإنسان فى ممارسة سلسلة من ألوان الولاء بصورة تلقائية .

والجوهر الروحى يجعل كل هذا محببا وسهلا مادام قائما على منهج تربوى

إنك لا تستطيع أن تجمع خليطا من الناس لتقول لهم كونوا مجتمعا . لن تجد فى المدينة خليطا من أجناس شتى تجمعهم المنافسات المادية التى قد تؤدى إلى الحزازات

ولذلك فإن القوة الروحية وهى شعار بلادنا هى التى تحد من هذه المطامع .

* * *

ومن خصائص التربية و الثقافة أنها توحدوجهات النظر فتزيدمن عمق الخصائص القوميةفى أصحابها . وتلتقى الفلسفةمع هذا المعنى حين نرى كل الفلاسفة تقريبا يحتفلون بالمعنى الإنسانى الشامل و يدعون إليه .

ولكن الإنسان لن يحسن الولاء العام للانسانية ما لم يمارس فى نظام تربوى الولاء فى محيطه الخاص والقرآن وهو دستور الإسلام لم ينزل على الناس بين يوم وليله . إنما نزل القرآن فى ثلاثة عشرة عاما ليظل الناس على صلة بالسماء خلال هذه الأعوام ليتعلموا و يمارسوا تنفيذ ما يتعلمونه بطريقة تطبيقية لتكوين مجتمع إنسانى .

كان القرآن يدعو إلى عادات ونظم خاصة وهذه العادات والنظم لا يعتنقها الإنسان بمجرد أن يستمع إليها و إنما هو يريد السنوات الطويله ليتعودها و يألفها و يهتدى بهديها حين تمتزج بنفسه و ينفعل بها وتصبح جزءا من وجوده و ينطبع فى ذهنه أثر من الثقافة التى تثبت هذه العادات و النظم .

ومن معانى التوحيد أن يشعر الإنسان بوحدة الإنسانية وأنه جزء لا ينفصل ابدا عن المجتمع السليم الذى يجب أن يكون مواطنا صالحا فى تكوينه .

* * *

ولذلك فإن الإسلام لا يدعو إلى العصبية أو القبلية أو الشعوبية أو الأقليمية فكما أن الولاء للأسرة اليوم لا يتناقض مع ولائنا للوطن فيجب كذلك أن نوفق بين الولاء للوطن و بين الولاء للإنسانية جمعاء .

وهذا الولاء الإنسانى الكامل هو محور الروح الإسلامية دون أن تذوب أو تتلاشى بل تظل وحدة متماسكة

و إذ كانت قوميات كثيرة تحارب الإنسانية وتقف فى طريقها وأن قوميات أخرى ترى استحالة التوفيق بين الولاء للوطن والولاء للانسانية فذلك كله راجع إلى أنه

ليست قوميات قائمة على المعانى الروحية التى تتميز بها قوميتنا ذات المنهج التربوى لتربية الفرد أن تعاليمه تزرع فى نفسه كل الصفات اللازمة لنمو المعنى الإنسانى فى ضميره ثم يندفع هذا المواطن بهذه الخصائص إلى تكوين أسرة يرعاها بنفس النظم والمعانى والعادات التى تعلمها ومن هذه الأسر يتكون المجتمع على أساس من التعاون القائم على أداء الحقوق واحترامها حتى أن الناس لايتفاضلون فى المجتمع العربى بالمال والمناصب أو ما يحققونه من ألوان الجاه وإنما يتفاضلون بمقدار حرصهم على أداء هذه الحقوق « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » والتقوى هى أن يتقى الإنسان الإجحاف والظلم وكل ما يلوث إنسانيته)

* * *

يخطىء كل من يظن أننا نعنى بالمعانى الروحية أن قومتنا قائمة على لون من الإنعزالية عن الحياة والكفاح بل أن هذه الروح هى التى تنمى فى نفس المسلم روح العمل الشامل والكفاح من أجل المجموع

* * *

والدول التى تتسلح بالقوى المعنوية يكتب لها التفوق فى ميادين نشاطها كما نرى قوميات أخرى رغم قواها المادية تنهزم فى الحروب لأنه كان ينقصها الجوهر الروحى

وحين هزمت فرنسا فى الحرب العالمية الثانية قال زعماؤها

إن فرنسا لم تنهزم لأنها كانت أقل عدة وعتاداً عن غيرها لقد كانت تمتلك أساطيل البر والبحر والجو ولكنها هزمت لأنه كان ينقصها الإيمان أن المدفع لا ينصر نفسه والقذيفة لاتحطم عدوها وإنما إيمان الرجل الذى يحرك المدفع والقذيفة هو الذى يسرع به إلى النصر

الإيمان الذى يبحث عنه الكثيرون وإذا وجدوا شعاعاً ضئيلا عكفوا عليه ينفخون فيه هذا الأيمان هو لب الروح الإسلامية وهذا . الإيمان لايتحقق إلا بالعمل للجماعة الإنسانية الإسلام لايقر كلمة . . . أنا . . وهكذا ترشدنا تعاليمنا . . .

لماذا أؤمن بالله

للسيد كمال الدين حسين

نائب رئيس الجمهورية

« إن سر إيمانى بالله هو سر إيمانى بالحياة وما بعد الحياة من بعث وحساب .. والمؤمن الذى يتذوق حلاوة الإيمان هو المؤمن الذى يحاسب نفسه فى كل لحظة عما قدم لوطنه من خير ، وما فعل ومايفعل فى دنياه من أعمال ترضى الله وخلق الله » .

« فالإيمان فى معناه هدى وتقوى وترويض النفس على مغالبة الشر والمعصية ، والإيمان فى مبناه كفاح مرير لخير الناس والمجتمع والبعد عن كل ما يسىء إليهم . فالمؤمن لايخادع ولا يخاتل ، والمؤمن لايبيع وطنه للمستعمر أو يخرج على المواطنين ، والمؤمن لا يعيش لنفسه ولا يؤثر مصلحته على مصلحة الوطن ، والمؤمن لا يظلم إذا حكم ، ولا يخون إذا أؤتمن ، ولا يقبل لوطنه الهوان والضيم ، ولا يرضى له غير العزة والكرامة والسؤدد .. والمؤمن كذلك هو الذى يستعذب التضحية فى سبيل الوطن ويرجو أن يموت شهيدا إذا تطلب الوطن منه ذلك » .

« وقد علمنا الإيمان أن الجهاد فريضة لا يمكن أن يتخلف عنها المؤمن أبدا ، وأن هذا الجهاد إذا كان خالصاً للوطن باركه الله ، وقد كان لله فى كل زمان ومكان فئية آمنوا بربهم فزادهم هدى . وهؤلاء الفئية هم خلاصة المؤمنين المناضلين ، الذين حرروا أوطانهم ومجتمعاتهم من الشوائب والفتن ، وطهروها من رجس الخيانة وربقة الذل والعبودية ، فمحوا صورة وأثبتوا صورة أخرى ونصرهم الله لأن الله ينصر الأقوياء إذا كانوا على حق » .

وقد آمنت بالله فى السر والعلن وآمنت به فى السراء والضراء .. وآمنت به فى كل مرحلة من مراحل حياتى ، وتعلمت من هذا الإيمان دروساً كانت ولا تزال دستوراً أعيش له ، وأعمل بهديه . فاللهم اقبانى مؤمناً ، واللهم احشرنى فى زمرة المؤمنين » .

الإيمان ينبوع السعادة

للدكتور أحمد أمين

يروى عن عمر بن الخطاب أنه دعا الله أن يرزقه إيمانا كإيمان العجائز ، ولم يقل كإيمان العلماء . . لأن إيمان العجائز إيمان عميق ، هادىء مطمئن ، لا يرق إليه الظن ، ولا يحوم حوله الشك . دينهم شعور عميق بالله بلغ النهاية فى الكمال ، والغاية فى الطيبة ، وعن هذا تصدر أعمالهم ، وبلقائه تتعلق آمالهم . أما العلماء فقد أعتادوا الشك . وأعتمدو على الحجج العقلية ، فكان إيماناً مقلقلا ، يحول بينهم وبين تمام إعتقادهم ، صعوبة إدراكهم لحقيقته بعقولهم .

ثم إن خير الدين ما أتى عن طريق القلب ، والعجائز إيمانهم عن طريق قلوبهم والعلماء إيمانهم عن طريق عقولهم . والعقل عادة مصدر للشك والتردد ، والقلق والحيرة . والقلب لا يعرف شكا ولا تردداً .

و إيمان العجائز إيمان بسيط سهل ، فهم يدركون أن الإيمان بالله معناه أن الله خالق كل شىء ، ومدبر كل شىء ، يعطف على من يحبه بالخير ، وينتقم ممن لا يؤمن به ، إن عاجلا و إن آجلا . وهذه العقيدة على بساطتها كافية فى سير الشخص سيراً حسنا حميداً ، يفعل الخير و يجتنب الشر .

إن الإيمان بالدين مبنى على أساسين : رغبة ورهبة . فالإنسان يعمل الخير رغبة فى ثوابه ، وأملا فى جنته ، وهو يخاف عقوبته ، ويخاف ناره ، و بين الرغبة والرهبة تصلح الأعمال وتتم السعادة .

ما الحياة بلا إيمان بالله ؟ . . إن الإنسان خلق فى هذه الحياة وسط تيار جارف وجو عاصف . تنتابه الأحداث العظام ، وتحل به الكوارث . فما لم يعتقد فى آله يتخذه ملجأ له ، وركنا يعتمد عليه ، ومعزيا له فى المصائب ، ومساعداً له فى المتاعب ،

ومأمنا له ضد الأخطار ، ومواسيا له عند الحزن كان كبناء لا يستند إلى أساس ، وبيت ليس له دعامة . ومن أجل ذلك نرى أشقى الناس فى الحياة أكثرهم إلحاداً: أنهم قد يملكون المال الكثير ، ويحصلون على الرزق الوفير ، ولكن لا يلبثون إذا حلت بهم مصيبة أن يأخذهم الجزع ، لأن من طبيعة النفس الخوف من العدم ، أما المؤمن فيحمد الله فى السراء والضراء ، ومهما فعل ومهما حل به ، فهو يعتمد على ركن ركين ، وملجأ حصين . إن فاته الخير فى الدنيا أمل فى الآخرة ، وأن لم تسعفه ظروف اليوم ، أمل فى الله غداً .

* * *

وتجاربنا فى الحياة تدلنا على أن الإيمان بالله مورد من أعذب موارد السعادة ومناهلها .. فالدين يكسب النفس قوة وسلوى وعزاء ، وذلك ظاهر فى الدين القلبى . أما الدين العقلى فمبنى على الجدل وحجج المنطق ، وهما يفقدان الشخص حماسته . ومن أراد الهدى فى أعماله ، والتدين الحق فى عقيدته ، فليعتمد على ضميره أكثر مما يعتمد على عقله . وليس لدين بالمساجد والمعابد والأديرة ، إنما الدين بحياة القلب . وكم فى الدنيا من مدن غصت بالمعاهد والمساجد والمظاهر الدينية ، وهى أبعد ما تكون عن الدين . وفى التاريخ أناس شقوا بالدين من تعصب وقتال على المذاهب وحروب صليبية ومحاكم تفتيش ، لأنهم انحرفوا عن الدين الصحيح ، ولم يسمعوا لصوت ضميرهم . . فضلوا فى طريقهم . والدين الصحيح سهل سمح لا يضمر عداء ، ولا خصومة ، كما قال محى الدين بن عربى :

لقد صار قلبى قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت وكائبه ، فالحب دينى وإيمانى

لقد منح الناس شعوراً بالله يؤمنون به ويعتمدون عليه ، فإذا تحول ذلك إلى بحث فى من هو ، وأين هو ، وما صفاته ، حار الإنسان وأضطرب . وتعجبنى فى ذلك حكاية قرأتها

عن فيلسوف يونانى سئل مرة : « من هو الله ؟ وأين هو الله ! » فطلب أن يمهل يوماً أو يومين ، يفكر فى الإجابة . . فلما لقيه السائل وطلب منه الجواب قال له « لقد رأيت ظاهرة غريبة وهى أنى كلما فكرت فى الجواب أزددت حيرة » . وذلك لأنه سلك سبيل التفكير العقلى ، وكان أسهل علية أن يسمع لصوت قلبه .

وكان القرآن حكيما فى مخاطبته للشعور فى مثل قوله : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف سطحت » ودعوته إلى النظر فى خلق السموات والأرض ، وإختلاف الليل والنهار ، وإختلاف الألسنة والألوان ، أكثر من إعتماده على مقدمات منطقية وأقيسه جدلية ، لأن آيات القرآن هذه تخاطب الشعور والقلب ، والأقيسة المنطقية تخاطب العقل . وكل إنسان صالح لأن يوجه الحديث إلى قلبه ، وليس كل انسان صالحا لان نوجه الحديث إلى عقله .

نعم ، إن العلم قد يخدم الدين ، ولكن لا يبعثه . . فتقدم الناس فى العلم اليوم خفف آلام البشرية من إعتقاد فى السحر والرقى ووجود أرواح شريرة تتسلط على البشر وتعذبهم حسبما تشاء . فكل هذه اعتقادات أزالها أو مزقها نور العلم ، فخدم الدين بذلك خدمة جليلة فإذا اجتمع فى الناس قلب ينبض بحب الله وعقل يزيل الخرفات والأوهام عنه ، كان ذلك منتهى السعادة ومنتهى الرقى .

* * *

لولا الدين ما كانت سعادة ، ولا كانت للحياة قيمة . . بل نحن نرى أن آباءنا كانوا أسعد منا بإيمانهم ، وشبابنا أشقى منهم بشكهم ، أو على الأقل بعدم اكتراثهم . وإن شئت فقارن بين أسرتين : أسرة أسست حياتها على الدين والتزمت به ، وأسرة أضاعت الدين ولم تلتفت إليه ، وأجبنى : أى الأسرتين أسعد ؟ أنى أعتقد أن أكبر سبب لشقاء الأسر وجود أبناء و بنات فيها لا يرعون الله فى تصرفهم ، وإنما يرعمون هواهم وملذاتهم . فهم يركبون رءوسهم ، ويرون

رغباتهم ، من غير وازع دينى يزعهم ، أو نظرة فى العواقب تردعهم . فإذا فشا الدين فى أسرة ، فشت فيها السعادة . . وخاصة إذ كان دينا راقيا تجرد عن الخرفات والأوهام وتدعم بالعلم ، وحكم أفرادها دينهم فى سلوكهم .

أن أهم ركن فى السعادة راحة البال . . والدين أكبر دعامة لراحة البال ، إذ يظهر أنه من طبيعة النفس الإنسانية أن تشعر بوجود إله تعتمد عليه . فإذا لم يكن ذلك ، قلقت واضطربت ، لأنها خالفت طبيعتها ، ولذلك نجد أكثر الملحدين يعيشون . عيشة مضطربة . وإذا جد الجد وحضرهم الموت ، كانوا كفرعون ، لما أدركه الغرق ، قال : « آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين » .

وهذه هى السعادة فى الحقيقة . . فليست السعادة فى كثرة المال ، ولا فى عظم الجاه ! إنما هى فى أنفسنا وفى داخل قلوبنا . وشىء آخر ، وهو من مزية الدين الإيمان باليوم الآخر ، فهو بذلك يضم حياة أبدية إلى حياته القصير الدنيوية وذلك من غير شك يدعوه إلى أن يفكر فيما يعمل ، لاعتقاده فى الجزاء العادل ، إن لم يناله فى الدنيا ناله فى الآخرة ، ويكفه عن عمل الشر لأن وراءه إلها يجازيه على عمله مهما أسر ومن طبيعة الإنسان حب الحياة ولذلك يرتعد فرقا إذا قيل له إن حياته فى الدنيا هى الحياة لأن معنى ذلك أنها حياة قصيرة ، تنتهى بعدم مفزع . وسعادته الحقة فى أن يعتقد أن وراء هذه الحياة حياة أبدية ، يتسط عليها عادل . .من يعمل مثقال ذرة شرا يره .

هذه الطبيعة الإنسانية التى خلقنا عليها وأى تنح عنها يفسدها . وقد علمتنا الحياة أن الخروج على الطبيعة الأنسانية ولو قيد شعرة ، مدعاة للحيرة والاضطراب .

و بعد ، فإن الدين يجعلنى أنا والإله على متاعب الحياة ، والإلحاد يجعلنى أنا وحدى ضد الله ، وضد متاعب الحياة . وشتان ما بين الوضعين .

الشفاعة فى الآخرة للعصاة حق

ولكن على خلاف ما يفهم كثير من الناس

بقلم الأستاذ الشيخ محمد العربى الخطيب

الأستاذ بالمعهد الدينى بتطوان

شفاعة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، ثابتة بلا خلاف ، وكذلك شفاعة حملة القرآن العظيم ، والصالحين من العباد بما هو مبين فى السنة بأتم بيان ، إلا أن كثيراً من الناس يقيسون — بطبيعة الحال — شفاعة المذكورين فى الآخرة لدى رب البرية جل جلاله على شفاعة الدنيا ، من ذوى الوجاهة والرتب الدنيوية المزعومة لدى الحكام من البشر على حالتها المعروفة المعلومة . فمن هنا أتى الغلط على كثير من الناس وخصوصاً منتحلى العلم الصناعى للاكتساب وذاك من ضعف ممارسة العلم الإلهى ، أعنى الكتاب والسنة للتخلق والإتباع .. الشفاعة فى الآخرة حلة يلبسها الله تعالى من يشاء من عباده إكراماً وتفضيلا من غير اختيار لها من أحد البتة سوى الله تعالى : « من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه » ... « يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا » ويُحدّ سبحانه أيضاً لمن أذن له فى الشفاعة أن لا يشفع إلا فيمن أذن له أن يشفع فيهم ، فلا تقبل شفاعته على فرض طلبها فيمن لم يؤذن له أن يشفع فيهم ، وهو قوله سبحانه : « يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا » وقال جل جلاله : « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » وقال : « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » . فأمر الشفاعة حينئذ ، وشأنها فيمن يكون لها أهلا من شفيع ومشفع فيه ما عدى المنصوص عليه بالسنة ، غائب عنا ، ولا يمكن لنا الإطلاع عليه فى هذه الدار البتة ، إنما أمرها أجمع إلى الله تعالى وحده لا شريك له كما قال جل جلاله : « قل لله الشفاعة جميعاً »

فليس لأحد أن يعيش شفيعاً له فى هذه الدنيا بما يزعم هو بنفسه أن يكون له شفيعاً ، فتعالى الله أن يكون قضاؤه فى الآخرة ، وهو أحكم الحاكمين على هذا النسق بل هو سبحانه أحد ليس كمثله شىء . فى نفسه وصفاته وأفعاله فله الإختيار المطلق والقضاء المطلق كما قال سبحانه : « وربك يخلق ما يشاء» ويختار (يعنى ما يشاء) ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون » ، فلم يبق لأحد من خلقه وعبيده إلا أن يحافظوا المحافظة التامة على اتباع نهجه وسبيله فى الأقوال والأفعال والمعتقدات من غير أن ينحرفوا انحرافا ما بادعاء تحسين أو إصلاح أو تقرب كما قال جل جلاله : « وإن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

وأن هذه هى الوسيلة المقربة إلى الله وإلى نيل الشفاعة فيما عثر فيه الإنسان أو هفا عنه ، فلم يبق إلا قوله سبحانه : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » ... « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » .. « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » .

حكمة العدد

التصوف والحرية

الصوفية هم أحرار هذا الكون : هكذا يقول حجة الإسلام الغزالى

ويقول أبو نصر السراج الطوسى فى اللمع ، وهو يتحدث عن المصطلحات الصوفية :

« الحرية » إشارة إلى نهاية التحقق بالعبودية لله تعالى ، وهو أن لا يملكك شىء من المكونات وغيرها ، فتكون حراً ، إذا كنت لله عبداً .

كما قال بشر بن الحارث لسرى السقطى فيما حكى عنه أنه قال:

إن الله تعالى خلقك حراً ، فكن كما خلقك ، لا ترائى أهلك فى الحضر ، ولا رفقتك فى السفر ، إعمل لله ودع الناس عنك .

قال الجنيد رحمه الله : آخر مقام العارف الحرية ،

وقال الحسين بن منصور الحلاج : لا يكون العبد عبداً حقاً ؛ ويكون لما سوى الله مسترقاً .

الدين والحياة

الأستاذ حامد محمود الزفزى

أشرنا فى المقال السابق إلى أن الدين له توجيهان بحسب الحياة الإنسانية توجيه ذاتى باطنى . وهو قيادة للروح وتصفية للنفس وصقل للذات وعروج بالأنا الوجودى إلى آفاق سامية ، ومعارف عالية . ومقام كريم . ووسيلة ذلك عبادات وفرائض أقرها الإلأسلام وقرر مزاولتها فى صور متعددة بعضها مرتبط بالحركة الزمنية كالصلاة أو المكانة التاريخية كحج الكعبة . أو الصلة الاجتماعية كالزكاة أو التزكية النفسية وتشبهها بالملأ الأعلى كالصوم وقد امتدح الطبع السليم هذه القيادة الذاتية ، وصحت بها الفطرة القويمة ، وغاية هذه الوسائل التعبدية . الوقوف فى مقام التحقيق . والإطمئنان القلبى الوفيق . وبهذا يصير علم التوحيد حقيقة حية وحركة عملية . وتصح عقيدة المسلم ويذوق حلاوة الإيمان ، ولقد كان هذا الجانب من الدين له أهمية قصوى بحيث نال من جهد الفقهاء الشىء الكثير مع أنه لم يبلغ حديثه فى القرآن الكريم سوى مائة وخمسين آية كما نص على ذلك المرحوم أستاذنا . طنطاوى جوهرى فى كتابه (التاج المرصع . .) وهذه عبادات فى صورها آداب فى معناها وحقيقتها . وهى فى الحقيقة ترجع إلى نظام الدنيا بالذات وإلى الدين بالتبع كما نص عليه حجة الإسلام الإمام الغزالى . وكما أن الباطن يكشف الحقيقة الوجودية الكبرى بوسائل تعبدية ويصل من وراءها إلى غايات سعيدة . وإشراقات مضيئة وقبوضات كاشفة ، تتمتع بها الذات ، وتصقل النفس . فكذلك ظاهرنا من حسن عقل . له توجيه وقيادة دينية . تقف بالإنسان على مشارف السمو والرفعة . والتقدم والنعمة . وله وسائل يصل بها إلى التمتع واللذة ، والعدالة والحكمة ، والإخاء والمعرفة ولما كانت هذه النوافذ الإنسانية الظاهرة إنما هى أدوات ووسائل . ورسل ووسائط

ولها طرق وسبل إذا هى سارت فيها حققت جوها الوجودى ونالت حظها الإنسانى ولما كانت اجتماعية ومتشابكة مع الآخرين . وليست ذاتية باطنية . بل جماعية ظاهرية لهذا عنى . . القرآن الكريم ببيان الوسائل الفعالة ، والسبل المنتجة لتحقيق السعادة ، والرفاهية . للفرد والمجتمع والإنسانية .

ونحن إذا رحنا ننظر أمرنا فى ظاهر الحياة . . والمرتبطة بالآخرين مثلا . كتنظيم الحكم . أو سياسة الجماعة . وهى الحال التى يرتبط بها أفراد المجتمع وتنظم أمورهم داخلها . والتى يسير فى خطها الإمام أو الحاكم دون استئثار أو استبداد . بل هى مشاركة ومسئولية عامة متبادلة بين الأفراد والحاكم . وهما (الأفراد والحاكم) مرتبطان بخيط من الرقابة الإلهية التى أضاءت لهم الطريق . وأشعلت السبيل وجعلت الأمر شورى .

ومن حيث إن الأمر العام أو الدستور للجماعة أو القانون للمجتمع . ومن حيث إنهم هم الذين سيعملون فى دائرته . ابتغاء صالحهم و إرادة إسعادهم . ولهم الغنم وعليهم الغرم . ولأن المؤمنين بخير ما تناصحوا . ولأن المسئولية فيما ينتظم الجماعة لا تقع على فرد أو قبيلة و إنما هى عليهم جميعاً . الخ هذه الأسباب الجذرية . لما كان الأمر كذلك فقد جعل الأمر فيما يخصهم جميعاً يقوم على أساس طبيعى فطرى هو إعطاء كل فرد حق المشاركة و إبداء الرأى فيما سيعود عليه والشورى فى الإسلام أو سياسة الحكم الدينى على الحرية الطبيعية . فقال تعالى : «وأمرهم شورى بينهم» .. «وشاروهم فى الأمر» ولقد ضرب الرسول عليه السلام الأمثلة العملية والسلوك السوى لتحقيق ذلك فى حياته بما لا يسعه مقال .

أما الشكل أو الصورة التى تتم بها الشورى . أو الطريقة الموصلة لهذه الغاية فمتروكة لظروفنا الزمنية والتقدمية .

والناس سواسية فى تولى أمر المسلمين يقوم بذمتهم أدناهم . فليست الخلافة

أو الإمامة فى قريش : حتى تكون عصبية قبلية . وليست فى بنى هاشم حتى تكون وراثية ملكية . بل الأمر مسئولية مشتركة يقوم بتنفيذ أغراض الجماعة المرتبطة بكتاب خالد واحد عنهم ، ليس هو بأحسن منهم نسباً أو أكثرهم مالا أو أقواهم بطشاً . أو أشدهم مكراً وخداعاً . وليس هو بأحكمهم إلا بمقدار حكم الجماعة عليه فى الصلاحية وكفاية الأداء . وقدرة العمل . وهم رغم ذلك إن أساء عزلوه وإن أعوج قوموه . فشكل الحكم فى الإسلام : كأنه جمهورى انتخابى . والشعب كله مسئول عن تحقيق هذا الضرب من العدالة السياسية وصلاحية المنفذ .

والأصل فى ذلك ما نراه من اندفاع الفرد نحو الآخرين وحبه البقاء معهم ، ونموه بهم ، وتقدمه بهم . فحب الاجتماع غريزة إنسانية واستجابة طبيعية لوجود الإنسان واستعداداته البقائية . واندفاعاته المدنية والإرتقائية .

ولكن الإجتماع والإندفاع إليه بطريقة عشوائية ، أو سلوك فيه التواء أو جبروت وعنجهية أو استبداد وملوكية . كل ذلك ونحوه مما قام به . الأكاسرة والقياصرة . والملوك والطغاة ، والزعماء والجبابرة . من الذين غرتهم سلطة الحكم . واستحوذت عليهم أنانية الذات ، ولقد اغتنم كثير من الظالمين هذه الفرصة (طبيعة الإجتماع) فراح يستغلها لحسابه . واستعمل السوط وأشاع الإرهاب . ليبقى على نفسه ، وليحمى بقاءه . والنتائج التاريخية لمثل هذا السلوك غير مجهولة لدى القارىء .

ولما كان الدين فى الحقيقة تنظيما للإستجابات الطبيعية . ودلالة الإنسان على خير الطرق ، وأقوم السبل . لما يؤدى بالإنسانية إلى خيرها وإسعادها لم يكن غريباً عليه والحال كذلك أن ينظم تلك الاستجابة الاجتماعية فى المجال السياسى كما أشرنا .

وإذا نحن عرفنا أن الحركة الأوربية نحو الحرية ، التى أشعلتها فرنسا فى القرن السابع عشر . وانطلقت أشعتها تضىء مدن أوربا ، وتغير الطريق لشعوبها . فى هذه الحرب بين الشعوب والملوك والنبلاء والقساوسة . نجد أموراً لا بد لنا من الإشارة إليها لنأخذ منها العبرة ونتعمق المغزى ونلمس الفروق بين الحريات .

فأوربا التى كان يتحكم فيها عائلات (بوربون) ومن على شاكلتهم من قياصرة وأباطرة . يسندهم فى الاستبداد نبلاء وأثرياء وتجار عظماء ، والغنيمة مشتركة بين هؤلاء وبين من بيدهم مفاتيح الجنان ، وتسطر أقلامهم . . صكوك الغفران .

ولقد كان عرق الشعب يتحول إلى روائح عطرية يستحم بها الملوك . وماء معمودية يغمس فيها القساوسة أيديهم . وليس ثمة حرية أو رأى أو شورى وعلى هذا الضرب من أهدار حق الجماعة . والاستبداد بأمرها سارت أوربا ، وتقدم العقل خطوات نحو تقدم الوسائل . وجدت طبقات امتدت أعينها إلى ما يتمتع به الحكام والبابوات . وكان ما كان . واندلعت نيران الثورة . تنادى بالحرية والمساواة والإخاء .

ولكن يا ترى . الحرية لمن . . ؟ للثائر . أو الحاكم . أو الشعب . أو الإنسانية جمعاء ؟ .

ومساواة من بمن . . ؟ أمساواة الأفراد لبعضهم ؟ أو مساواتهم بالحاكم ؟ أو المساواة العامة لبنى البشر . ؟

والإخاء . هل هو بين الأوربيين وبين بعضهم ؟ أو إخاء إنسانى عام ؟

لقد كان المفروض أن يكون هذا الشعار الفرنسى الثائر عاما و إنسانيا شاملا ، ولكن سلوك الثوار أنفسهم والأوربيين جميعهم . قد حدد معانى هذا الشعار بما لا يدع مجالا للخوض فيه بأكثر من الإشارة إلى التعصب للجنس الأوربى . والاستعمار لبقية شعوب العالم . ومحاولة محو الثقافات والجهود والتواريخ لأمم غلبت على أمرها ووقعت فريسة لهذا الوحش الأبيض .

وإذن فالثورة الأوربية الحديثة إنما كانت أسبابها الهامة حركة ذاتية ، وأغراض لا إنسانية ، حتى ولو ادعت أن شعارها الحرية والإخاء والمساواة ، على الإطلاق :

ويكون من المسلم به أن كراهية أوربا للكنيسة أمر طبيعى وبالتالى فالمسيحية دعوة روحية لم تقم لها حكومة سياسية . ولم تعرف لها فى أناجيلها الموجودة بين أيدينا

خطة تنظيمية عامة . للأفراد والجماعات والبشرية فى منافذها الظاهرة . وإن هى سعت لخلاصه الباطنى . وتاريخها دليل حتى على أن سلوكها كان أخلاقياً فقط وأحياء وتجديدا لرسالة موسى ونفوس بنى إسرائيل فقد ظل المسيح يدعوهم إلى الأخلاق وحسن المعاملة والحد من الأنانية ، والانغماس فى المادية ، التى هوت بهم إلى سحيق الفجور وغور الشرور وكما كانت اليهودية مادية متطرفة فالمسيحية روحية مترهبة ورغم ذلك كله فلم تقم لدعوة المسيح فى حياته حكومة ذات نظام وأسلوب كما كان للاسلام أيام محمد عليه السلام والخلافة الرشيدة . بل إن الدولة الرومانية اعتنقها بعد موت المسيح بزمن بعيد واستغلتها لأغراض سياسية . وهذا التاريخ المسيحية فى حياتها الأولى وللقساوسة فى إبان الثورة الفرنسية هو الذى دفع الأوربيين والمسيحيين عامة إلى إطلاق الكلمة المعهودة إن الدين شىء بين العبد وربه . وهو صحيح بالنسبة المسيحية وتاريخ رجالها فى أوربا .

ولما كان الإسلام دعوة عالمية خالدة وجهوداً بشرية لذات الدعوات الإلهية . وخطة أخيرة لسير المجتمع البشرى بما يتفق وطبيعة الخلق والتطور ، وقد أسست دولته فى أول أمرها على تنظيم الاستجابة الإنسانية للحياة . وهى استجابات باطنية . وظاهرية فكان والحال هكذا حديث القرآن الكريم عاما وتنظيما شاملا .

والإسلام ليس ثورة أرضية تطلق الشعارات لتحمى وجودها وتعمل لحسابها . كما فعلت الثورات الأوربية غربية وشرقية . وليس دعوة أخلاقية منفصلة عن المجال العملى . حتى يكون الدين أمراً بين العبد وربه . بل هو دين الحياة بكل ما تحمل من دلالة وفى كل مجال . ظاهر وباطن : اقتصادى وسياسى واجتماعى . وهو تنمية للشعور الوجودى ودفع للقوى واستجابات فى خط الأمان رغبة إسعاد الإنسان ورفاهيته . وهو بهذا المعنى له رجال ودعاة وله أتباع ومخلصون . وله فكر وعلم . واقتصاد وسياسة . ولم نر فى تاريخ الإنسانية جمعاء مثل ما رأينا للاسلام فى كل مناحى الوجود ؟

يتبع

نساء صوفيات

٢ — معاذة العدوية

للأستاذ فوزى عرفة

من الصوفيات الأوليات ،والرعيل السابق ،الذى تجمل بالأخلاق الفاضلة،وتزين بالمكارم العربية السامقة ، التى تجمعت خصائصها ، وتمثلت صفاتها النقية فى شخصية محمد عليه الصلاة والسلام ومن تبعه من الخلفاء الراشدين وباقى التابعين وتشبه بهم المسلمون فتركوا لناهذة النماذج الحية للتجارب الإنسانية الدقيقة التى تمتلىء ثراء وتفيض قوة وحيوية .

وبين اسم معاذة العدوية ورابعة العدوية صلة ينبغى أن تزول أولا من الأفهام ، فكلتا الصوفيتين الجليلتين تحملان لقب العدوية ، يوحى هذا الإسم بانتسابها إلى قبيلة واحدة وهى « العدوية » مع أن الأمر يحتاج إلى كثير من التأمل والتفكير .

أما رابعة العدوية فكما أجمع « ابن خلكان » فى « وفيات الأعيان » و « ابن تغرى بردى » فى « النجوم الزاهرة » هى مولاة آل عتيك ، وعتيك هو بطن من الأزد ، وقد كانت تسكن البصرة ، والأزد بطن من « العرب البائدة أو العاربة » لا من العرب المستعربة، وهى تنتمى إلى كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان فهى من القحطانيين لا العدنانيين . وقد ولد لآل عتيك بنو عدوة فسميت رابعة بالعدوية إلى هذا الإنتساب ولهذا يسميها الجاحظ « رابعة القيسية » نسبة إلى قيس فى كتاب البيان والتبيين ولا يلحق اسمها بالعدوية بل ويقصدة فقط على معاذة لا على رابعة القيسية إلا أنها اشتهرت بهذا الإسم فيما بعد عند من أرخوا لها .

وأما معاذة العدوية فهى من قبيلة عدى التى ينتسب إليها عمر بن الخطاب والتى

تلتقى مع الرسول فى كعب بن لؤى بن غالب بن قريش ، ومن هنا كانت نسبة عمر إلى هذه القبيلة ، كما ورد فى صحيح البخارى «مناقب عمر بن الخطاب أبى حفص القرشى العدوى » فالنسبة هنا بالعدوى إنما أتت من « عدى » لا من بنى عدوة ومن هنا فلا صلة بين « معاذة العدوية » و « رابعة العدوية » إلا من طريق التصوف فقط أى أن كلا منهما صوفية وأما من حيث الإسم فالتشابه يجىء من النسبة اللفظية التى توحى بإيجاد صلة بين الصوفيتين الجليلتين .

على هذا يمكن لنا أن نتطلع إلى هذه القبيلة الماجدة قبيلة «عدى» فقد كان منها فى الإسلام طائفة سباقة إلى دخول الدين الجديد . كان منها نعيم بن عبد الله النحام من بنى عدى بن كعب الذى تنافر معه عمر بن الخطاب العدوى القرشى فلفت نعيم نظره إلى إسلام أخته فاطمة بنت الخطاب فاشتد غيظ عمر وكان هذا سبباً فى إسلامه .

ونحن نعرف عن معاذة العدوية أنها امرأة «صلة بن أشيم العدوى» فهو من قبيلتها أيضاً ولهذا ينتمى إليها بصلة القرابة وكان صلة هذا ذا خوف وورع وتقوى وتضحية وإيثار وفهم للقرآن الكريم وتثبت من آياته الكريمه .

فمن خوفه : أنه كان يقول إذا مر بقوم يلعبون « أخبرونى عن قوم أرادوا سفراً فقطعوا النهار فى اللعب شغلا عن الطريق وناموا ليلا متى يصلون إلى مقصدهم ؟ » فكأنه كان ينظر إلى الحياة — إجمالا — على أنها دار سفر قد تهيأ لجوّابيها أن يستعدوا لها حتى ينتهوا إلى مبتغاهم ، وهو فى ذلك يردد قول الرسول «وكأن الذين نودع من الأموات سفر ، عما قليل إلينا يرجعون » .

ومن صبره : ور باطة جأشه وحسن تأسيه فى الأمور أن جاءه نبأ موت أخيه فى بلاد بعيدة فقال رضى الله عنه « قد أخبرنى الله تعالى بذلك : قال تعالى إنك ميت وإنهم ميتون » فهذا وجدان إنسان فاضت نفسه بالمعرفة الحقة والإيمان فى معانى الحياة والبعث وحسن التثبت من قضائها وبلائها .

ومن ورعه : أنه كان يصلى حتى يزحف إلى فراشه رضى الله تعالى عنه .

والغالب أنه توفى فى أول المائة الثانية من الهجرة هو وزوجه « معاذة العدوية » .

* * *

ولدت معاذة العدوية فى المدينة المنورة حيث انتقلت إليها هجرات المسلمين من مكة وقدر لها أن تشهد آخر الفئة الأولى من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أنها أدركت عائشة رضى الله عنها وروت عنها أربعة أحاديث أو أكثر على خلاف فى ذلك . وإذا كانت عائشة قد توفيت سنة ست أو سبع أو ثمان وخمسين بعد الهجرة كما ورد فى كتاب « نور الأبصار » للشبلنجى فإنها تكون قد لحقتها فى طور طفولتها فى الغالب ولو أننا لا نستطيع أن نجد ما يضىء لنا سبيلنا فى هذا المجال .

على أن وجودها بالمدينة المنورة واتصالها بآل البيت وانتهاءها بالنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلها تتعلق منذ الصغر بالأحاديث النبوية وتروى عن عائشة أيضاً .

وقد جذبت البصرة بجانبها الورع معاذة العدوية وزوجها صلة بين أشيم العدوى ولا ندرى لماذا انتقلت معاذة من المدينة إلى البصرة : ولعل هناك أسباباً عديدة تدعو إلى هذا الأنتقال منها أن المدينة أصبحت موّارة بالمذاهب السياسية العديدة ومنها دواعى الجهاد التى تتطلب الهجرة والتنقل أو لعل هناك أسباباً أخرى نجهلها دفعت هذه الأسرة إلى النزوح إلى البصرة . وغاية ما نعرفه أنها أقامت بالبصرة . ولهذا يذكرها الجاحظ فى « البيان والتبيين » تحت باب « نساك البصرة وزهادها » فيقول « عامر بن عبد قيس وبجالة بن عبدة العنبريان وعثمان بن أدهم والأسود ابن كلثوم وصلة بن أشيم ومذعور بن الطفيل . . . . ومن النساء : معاذة العدوية امرأة صلة بن أشيم ورابعة القيسية .

وهكذا عاشت معاذة فى البصرة وتوفيت بها حيث لا نعرف تاريخ وفاتها والأغلب كما قدمنا أنها ماتت فى أول المائة الثانية من الهجرة .

تصوفها :

(١) الشوق : من مشاهير الصوفية فى البصرة زمن معاذة العدوية الحسن البصرى ومن نحا نحوه فى الخوف من الله والزهد فى الحياة الدنيا والإقبال على الله بكنه الهمة وقد أخذ هؤلاء الصوفية تصوفهم من الرسول عليه الصلاة والسلام ومن تابعيه كما هو ثابت فى طرائقهم وأعمالهم ولم ، يكونوا يعرفون للتصوف معانى واصطلاحات . والغالب أن المؤرخين عندما بدءوا يكتبون عن التصوف بحثو عن هذه المصطلحات وكانوا فى ذلك طرائق قددا وشعباً مختلفة ، ذوى ثقافات متعددة ، ولهذا نجد البعض يستعمل مصطلحات لايرضى عنها الآخرون ، فكان بعضهم يتحرج أولا من استعمال كلمة محبة ، وفى ذلك يقول الأستاذ ماسنيون كان عبدالواحد بن زيد يرى أن كلمة « عشق » هى الوحيدة المعترف بها فى التحدث عن الله وكان يرفض كلمة محبة وأما مالك بن دينار ومضر القارى وذو النون المصرى فيقترحون اللفظ « شوق » والحقيقة أن الصوفية عندما تذوقوا التعبد والوصل ومارسوا العبادة والزهد لم يكن فى ذهنهم تعريف لهذه الأسماء المختلفة والمعانى المتعددة وكل ما هنالك سمات ظاهرة تمثلوها فى أعلى قمة السموق مقربة إلى الله ومسعفة لهم ساعة اللقاء . ومن هؤلاء الصوفية معاذة العدوية وغاية ما يمكن لنا أن يسمى به مذهبها هو أنها كانت مشوقة إلى لقاء الذات الإلهة ومن ثمة يكن لنا أن نقول إنها كانت تدعو إلى طريقة قريبة من دعوى « الشوق » فقد كان الرسول يعلم عمار بن ياسر دعوات منها «اللهم إنى أسألك النظر إلى وجهك الكريم وشوقا إلى لقائك فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة » وقدعرف الصوفية الشوق بقولهم « اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب وعلى قدر المحبة يكون الشوق » وفرق أبو على الدقاق بينه وبين الإشتياق فقال : الشوق يسكن باللقاء والرؤية ، والإشتياق لا يزول باللقاء . وفى معناه أنشدوا :

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته حتى يعود إليه الطرف مشتاقا

وقد ضربت معاذة العدوية فى الشوق مثلا عالياً فكانت إذا تقلب عليها الليل هشت للقاء وإذا جاء النهار استبشرت بالموت ولهذا وصفها صاحب الطبقات الكبرى فقال « كانت إذا جاء النهار قالت : هذا يومى الذى أموت فيه فما تنام حتى تمسى وإذا جاء الليل قالت هذه ليلتى التى أموت فيها فلا تنام حتى تصبح وكانت إذا غلبها النوم قامت فجالت فى الدار وهى تقول : يا نفسى ! النوم أمامك ثم لا تزال تدور فى الدار إلى الصباح تخاف الموت على غفلة ونوم .

(٢) الورع وكثرة التهجد : يضاف إلى ما أسلفنا شدة ورعها وكثرة تهجدها وطول بكائها ، وصفها الجاحظ فقال « فإن تهيأ مع ذلك من هذا المتعشق أن تدمع عينه احتاجت هذه المرأة أن يكون معها ورع أم الدرداء ومعاذة العدوية ورابعة القيسية والشجا الخارجية » ويروى عنها أنها كانت تصلى فى اليوم والليلة ستمائة ركعة ولم ترفع بصرها إلى السماء أربعين عاما ولما مات زوجها لم تتوسد فراشاً حتى ماتت .

وهكذا كان التصوف عند هذه الصوفية المؤمنة السباقة، نوعاً من الوسيلة والقربى يقربها إلى الله سبحانه وتعالى ، ويضفى على نفسها لوناً من الهدوء والراحة يعصمها من الأنخراط فيما سلك فيه المقبلون على الدنيا من لذات وماديات حتى إذا تهيأ لمن جاء بعدها أن يسلك طريقها سار فيه إلى مبتغاه فكان بينهم التنافس فى العمل الصالح وكثرة التأمل وطول التهجد وممارسة التذوق والوجد ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

الإنسان الكامل عند إقبال

للأستاذ عبد اللطيف محمد القيسى

تأثر إقبال فى نظريته عن الإنسان الكامل بصوفية العصور الوسطى من المسلمين ، إلا أنه يختلف كثيراً فى نظريته عن الإنسان الكامل عن نظرية الصوفية كما رأيناها عند الجيلى ومدرسه ابن عربى بصفة عامة . وفلسفة إقبال رغم أنها تنبع من روح الإسلام ، إلا أنها جاءت رد فعل لبعض النظريات الصوفية ذات الطابع الفلسفى وخاصة نظرية وحدة الوجود كما جاءت فى مؤلفات ابن عربى .

وقد رأينا الإنسان الكامل عند الجيلى إنسانا صوفيا يهدف فى ترقيه الروحى إلى الفناء فى الله . فذات الولى الكامل بوضعها ذاتا متناهية لا يمكنها أن تقف على قدميها أمام التجليات الإلهية اللامتناهية ، ومن ثم كان السحق والمحق الذاتى فعل أساسى وضرورى فى سبيل بلوغ الإنسان الكامل غايته ومسعاه . «والأنا» أو الذات لا تتمتع بأى كيان حقيقى ، وهى لا تخرج عن كونها رسما فى الكلام ، أو نوعا من الخداع النفسى .

وهذه الأوجه من النظر كما تراها عند الجيلى تتعارض تماما مع ماذهب إليه إقبال فى فلسفته التى أقام على أساسها نظريته فى الإنسان الكامل . فإقبال أقام نظريته على ما أسماه « بالذاتية » أو « خودى » . ويعنى بالذاتية مركز الشعور الذاتى للفرد وما يدور حوله من مجالات وكيفيات متفرقة غير محدودة ، وتتجلى الذاتية فى الإنسان فى وحدته الوجدانية والشعورية التى تؤلف بين رغباته وعواطفه وأفكاره . فالنفس تتكشف عما يسميه بالحالات العقلية ، وتبدى هذه الحالات ضروبا مختلفة من النشاط لا تجمع بينها وحدة أو رابطة ، وحين تتوحد فى ظل الأنا أو الذات يمكنها أن توحد

غاياتها وأهدافها ، ويمكنها أن تسير قدما من الفوضى إلى تحقيق النظام واستكمال حقيقتها المنشودة .

فالقوى النفسية المختلفة عاجزة عن أن تحقق كمال الذات بمفردها ، والعمل الحقيقى فى سبيل تحقيق الكمال إنما هو من صميم فعل الذات أو « الإنية » التى تعمل على جمع شتات الميول والعواطف والأفكار عن طريق تحقيق وحدة نفسية قوية ومتماسكة .

غير أن تحقيق الذاتية ليس قصرا على الإنسان وحده ، ولكنها تؤلف حقيقة هذا الكون ، وهى العنصر المشيد لأركان العالم ، وفيه تتجلى حقيقتها وأسرارها . فكل ما فى الكون ذوات مفردة تتمتع بصفة الوجود المستقل والكيان والنفس الموحد مهما كانت عليه من ضآلة الشأن فى ميزان الوجود . فكل ما فى العالم ابتداء من ذرة المادة إلى حركة الفكر الطليق إن هو إلا مجلى من مجالى الذات العظمى ، أو العلى الأعلى ، وإن كان يبدو هذا التجلى ضئيلا فى بعض الموجودات ، فإنه يبلغ كماله وأوجه فى الإنسان ، وهذا وحده يقدم لنا تفسيراً لسر عظمة الإنسان فى خلقته . غير أن حياة الإنسان لا تقتصر على هذا الضرب من الكمال المشترك ، وإنما تتضمن نوعا خالدا من الصراع والجهاد فى سبيل اكتمالها وتحققها بذاتيتها .

فالعالم كما يبدو ، بما فيه من ذوات فرده لا يبدو كاملا فى حقيقته ، إذ أن اتصافه بالكمال رهن بتحقيق الذاتية فى الحياة وفى الإنسان ، ذلك التحقق الذى يكفل له نظاما يحقق وحدة كل ذات ويؤكد استقلالها وحدتها .

أما فى حياة الإنسان لتحقق الذاتية وليد شعور الفرد بحقيقة نفسه شعورا مباشرا وعلى هذا القدر من الشعور تتفاوت درجة كماله الحقيقى فرغم قدرة الإنسان على إقامة علاقات متبادلة وصلات مع الذوات الأخرى ، إلا أنه يتمتع بدرة خاصة من الشعور هى وحدها التى تؤلف حقيقته كموجود بشرى ، وهى التى تغذى كيانه بوصفه ذاتا مفردة .

ونظرة الشرقيين تختلف عن طبيعة أهل الغرب فى تقديرهم الذاتية أو الإنية . فنحن نجد فى الشرقيين من يميل إلى اعتبار الذات أو « الأنا » ضربا من المجاز ، أو الخيال أو الخداع ، أو هى فعل من أفعال الشيطان . وتجلى هذا الإعتبار كما كثر مايكون وضوحا فى تاريخ الفكر الهندى . إذا استتبع هذا القول الدعوة إلى الخلاص من هذا الخداع ، وإذا كان العمل مما يؤكد الإنية ويحدد مصيرها ، فترك العمل هو وحده الذى يحدد طريق الخلاص .

أما رسالة الإسلام فهى فى صحيحها دعوة صريحة إلى العمل ، والعناية بالعمل تفوق ما عداها فى دعوة القرآن ، فالأنا أو الذات لا تنال الخلود إلا بالعمل . غير أن ما حدث فى الفكر الهندى له مثيل فى الفكر الإسلامى . فيرى إقبال أن نفس الفكرة التى فسر بها « شنكر أجارية » « كتاب « الجيتا » طبقها الشيخ الأكبر ابن عربى فى تفسيره للقرآن . إلا أن أثر هذا كان أشد وأخطر عند المسلمين حين خاطب شعراء الفرس بخيالهم الدقيق قلوب المسلمين ووجدانهم ، فأشاعا هذه المسألة بين العامة حتى سلبوا الأمة الإسلامية الرغبة فى العمل :

أما فى الغرب فكان لهم من طبيعتهم وميلهم إلى العمل خير واق ، وحين ظهرت هذه الفكرة عند الفيلسوف الهولندى اسبيتوزا وفلاسفة الهجلية المحدثة من الإنجليز ، كانوا أسرع إلى نبذها . وتلك الفكرة التى يعنيها إقبال هى وحدة الوجود التى ظهرت فى التصوف الإسلامى على يد ابن عربى وتلاميذه وفلسفة إقبال تنبذ أى وحدة أو عمومية أو كلية فى الكون وفى الحياة ، فكل ما فى العالم إن هو إلا ذوات فردة والحياة ما هى إلا تجلى الذات العظمى ، والإنسان حين تتجلى فيه الذاتية تسمى « أنا » أو ذاتا وسبيل كماله الحقيقى هو تأكيد هذه الذات دون أن يعمل على أفنائها أو الخلاص منها ، وتخلى الإنسان عن ذاته وإنيته إنما يعنى الفناء والموت بالنسبة له . وكلما أمكنه أحكام عقدة ذاته كلما كان أقدر على مقاومة كل فناء أوفساد . وهذا ما توضحه لنا جلياً سيرة الرسول عليه السلام . وقد عبر الأدب

الفارسى عن ذلك فى صورة أدبية رائعة تصف لنا رؤية النبى للنور الإلهى :

« صعق موسى لما تجلى له قبس من نور الحق
وأنت ترى جوهر الحق نفسه فى تبسم . . »

وهذا المعنى قد صوره القرآن فى وصفه رؤية النبى للذات الأولى بقوله « مازاغ البصر وما طغى » . فالذات القوية تعلو على الفناء والمحو الذاتى ، ولا تتلاشى بأى نحو من الأنحاء . إذ أن فى قوة الذات وتفردها ما يحول بينها وبين أن تمحى فى خضم أوسع ، أو محيط شامل . حتى أن الفناء الكلى الذى يسبق يوم الحساب مباشرة لا يمكن أن يؤثر فى كمال تلك الروح أو يزعزع من ثباتها . يقول إقبال إحكم نفسك فى حضرته ولا تفن فى بحر نوره ، فإذا كنت ثابت الروع فى حضرته فاعتبر نفسك حياً باقياً مثله » .

ومن هنا يتضح لنا سمات الإنسان الكامل عند إقبال ، ويتبدى لنا مدى تعارضه مع عقيدة الفناء عند صوفية وحدة الوجود فليس هدف . هذا الإنسان عند إقبال هو بلوغ درجة الفناء فى الذات العظمى ، بل على العكس من ذلك هدفه الإبقاء على ذاته المتناهية ، وعمله الدائم على إذكاء شعلتها وذلك بألا تفنى القطرة فى المحيط أو تتلاشى فى خضم واسع لانهائى .

ويذكر إقبال أن مذهباً كهذا يتعارض وفلسفة وحدة الوجود ، وثمة نقد قد يثيره أتباع هذا المذهب : كيف للذات المتناهية أن تقوم بعيداً عن الذات اللا متناهية ؟ وهل الذات المتناهية يمكنها أن تحتفظ بتناهيها إلى جانب اللا متناهى ؟ . . ويرى إقبال فى مثل هذا الإعتراض دلاله على سوء الفهم لحقيقة اللا متناهى ، فليس معنى اللاتناهى أنه قابل للأمتداد إلى غير نهاية ، بل حقيقة اللاتناهى تكون فى القوة لا فى الإمتداد . وذاتى بوصفها قوة يجب أن تكون متمايزة عن الذات غير المتناهية وإن لم تكن منعزلة عنها . مثلنا فى ذلك مثل النظام المكانى الزمانى ، فإذا نظر إلى بإعتبارى إمتداداً كنت حالا فى هذا النظام مشمولا به . أما إذا إعتبرت

«قوة» فإنى أرى النظام المكانى الزمانى على أنه «غير» أو «آخر» مواجه لى، متمايز عنى تماما . وكذلك فى صلتى بالله ، أنا متمايز عنه ، ونظرتى إلى الله بإعتباره « غيرا » أو «آخر» ، رغم إعتمادى عليه فى حياتى وصلتى الوثيقة به . [تمد التفكير الدينى ص١٣٦

ويكون الإنسان كاملا كلما ازدادا قربا من الله ، ولن ينتهى هذا القرب عن إقبال إلى التلاشى والفناء فى ذات الله ، بل إلى التخلق بأخلاق الله كما قال الرسول . وسوف ينتهى هذا التخلق إلى أن يجعل من الإنسان الكامل فريدا بغير مثيل كما أن ذات الحق لامثل لها .

وحين يبلغ الإنسان مرتبة الكمال فسوف يكون ممثلا للخالق فى نفسه ، وحاملا لواء النيابة الإلهية فى الأرض . وحين تصل إلى درجة الخلافة هذه ، تكون قد توحدت فى الإنسان الكامل شتى عناصر الفكر والعمل شيئاً واحدا فى ظل وحدة الذات وقوتها . وعلى هذا لن تقف الصعاب أو العراقيل أمام الذات الكامله ، بل يغدو كل شىء وكانه سخر لها ، طوعا لأمرها . ولن تكون المادة أو الطبيعة شرا يعوق التقدم النفس والتطور الروحى للذات . لقد ذهب كثير من الفلاسفة والحكماء فى الغرب والشرق إلى اعتبار المادة مصدر كل شىء ، وأن الطبيعة مصدر فياض للشرور ولكل اضطراب ونقص وفوضى فى العالم يقتصر هذا على القدماء فقط بل ومن الحدثين من يذهب إلى اتهام الطبيعة أو المادة هذا الإتهام .

غير أن إقبال ، تبعا للنظرة الإسلامية ، لا يقر هذا الرأى ، ولا يرى فى المادة أى عنصر من عناصر الشر ، بل هى فى الحقيقة مصدر عون للذات فى تقدمها ورقيها وإن كانت المادة تمثل بعض عقبات أمام « الأنا » ، فإن الأنا أوالذات لا تتحطم أو تهوى إلى اليأسى ، بل على صخرتها تنساب قواها المحبوءة ، وتفيض بنبعها العذب . فليست المادة مصدر شر للذات ، بل كثيرا ما تكون ملهمة إياها بالمعانى والصور . وسمو الذات وارتقائها لا يكون بإستبعاد المادة ، أو محاولة العلو عليها ، وإنما يتحقق هذا السمو بإنبثاق عالم جديد ينبع من أعماق الذات ولا يأتيها من الخارج ؛ ومصدر

هذا النور أو الوحى النابع من أغوار الذات ليس مجانبا لعالم المادة ، بل هو متغلغل فيه كامن فى أعماقه . وهذه نظرة الإسلام الصحيحة كلما يراها اقبال « وعلى هذا توكيد الروح الذى سعت إليه النصرانية يتحقق لا باستعباد القوى الخارجية التى تخترقها أنوار الروح بالفعل — وإنما يتحقق بتنظيم علاقة الإنسان بهذه القوى ، على هدى النور المنبعث من العالم الموجود فى أعماق نفسه » . [تجديد . . . : ١٦] .

وهكذا لن يكون من المادة عائقا يعرقل الذات فى تطورها ورقيها ، بل ستكون وسيلة طيعة فى يدها ، ومصدر وحيها وتألقها الروحى فى العالم . وحين تذلل الصعاب أمام الذات فإنها تبلغ مبلغا عاليا من الحرية والإختيار ، فتخطى الذات لشتى العقبات إنما يعنى قدرتها واستقلالها ، وتخلصها من الحرية ونزوعها إلى الحرية . وأهم مايميز الذات أنها ذات حرة مختارة ، وهذا بالفعل مامارسه الإنسان فى أول نشأته ، وماخبر به لنا آدم فيما يسمى بالمعصية أكبر دليل على اختيار الإنسان وحريته فى التصرف .

وتحقق الذات بالحرية وقدرتها على الإختيار رهن بقوة الجهد وشدة النضال الذى مارسته فى صراعها المستمر للعراقيل والمصاعب .

إلى ميدان العمل

للأستاذ محمد على الطعمى

عن أنس رضى الله عنه . . قال . . أتى رجل من الأنصار يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أما فى بيتك شىء ؟ قال بلى حِلس نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه الماء ، فقال ائتنى بهما ، فأتاه بهما ، فأخذهما صلى الله عليه وسلم بيده ، وقال من يشترى هذين ؟ قال رجل أنا آخذهما بدرهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا ، قال رجل أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه ، وأخذ الدرهمين فأعطاهما للأنصارى ، وقال اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما فأتنى به ؛ فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده ، ثم قال له اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما ففعل ، ثم جاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما ، فقال له صلى الله عليه وسلم هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة ، إن المسألة لا تصلح إلا لذى فقر مدقع أو لذى غُرم مُفظع أو لذى دم موجع .

« أخرجه أبو داود » فى سبيل الله والمجد ورفع مستوى البشرية دعا محمد إلى العمل الصاعد وهتف من أعماق ضميره . . انبذوا الكسل والركود والتواكل ، وامضوا قدما فى ثنايا الأرض ومسارب الجبال ، لكيلا تكونوا عالة على غيركم ، ولكى تحطموا صخرة الفقر وذل المسألة وصفاقة الإلحاح .

امضوا إلى العمل فى عزيمة جبارة ومضاء حازم ، لتأكلوا من عرق جبينكم وكد أيديكم وتعب أبدانكم .

امضوا إلى مناكب الدنيا وفتشوا جوانبها وشقوا وعرها واسلكوا سبلها ،

لتصونوا عيالكم ونساءكم من التدهور والفاقة والعوز والإلحاف .

هذا نداء الرسول محمد لكل قادر على العمل . وفى استطاعته أن يكدح وينتج انتاجا يغنيه عما فى أيدى الناس . وإن فى حديث ذلك الأنصارى لترهيبا وتخويفا لمحبى الخمول حتى لا يألفوه وتهفو نفوسهم إليه .

ألم يقل لصاحبه الأنصارى حين سأله ماذا فى بيتك ؟ فيجيبه فى بيتى قعب نشرب فيه الماء وحِلْسٌ وهو عبارة عن كساء غليظ نفترشه ، فيقول له الرسول لا غضاضة إن بعتهما وفعلا يباعان بدرهمين ، ثم يقول له خذ طعاما بدرهم ودعه لأهلك . وبالدرهم الثانى هاتِ قدوما لتحتطب به فى الجبل ولا أَرَيَنَّكَ خمسة عشر يوما .

إن محمداً كريم جداً ، وما تعود أن يضن على الملتاعين بشىء ، ولقد كان يحرم نفسه وذويه من القوت ويجود به على أصحاب العازات ، فكيف يضن على هذا الأنصارى ؟ كذلك محمد عبقرى وملهم وصاحب رسالة ، وقد نظر بعبقريته الوثابة ، فرأى الأنصارى قوى الجسم مفتول العضل ، وفى استطاعته أن يشق الأرض ، ويقلب وجوهها ويستثمرها ، فكيف يطلب المسألة ؟

والتوجيه ضرورى لأمثال هذا الرجل ، ومحمد أكبر موجه وأعظم رسول ، فماذا لو باع قعبه وحلسه ووجهه إلى العمل لكى ينتج فى حقل الحياة ؟

يا لرحمة محمد . .

لقد وضع له فى القدوم يداً بنفسه ليريه قيمة العمل والكفاح من أجل لقمة العيش ، ويريه أيضاً أن هذه اللقمة ليس منالها هينا ولا سهلا ، ما دامت السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .

إن محمداً يريد من الأنصارى أن يفهم أن الدنيا خلقت للعمل وأنها حقل كبير متسع ينقصه أن نفتش فيه بأمانة ودقة واستمرار .

ويشاء ربك أن يغيب الأنصارى فى أحضان الصحراء مستقبلا أشعة الشمس المنبثقة على الرمال والتلال ، ثم يعود بعد أيام وأيام وقد باع حطبا بعشرة دراهم .

هكذا يفعل الطبيب الحاذق عندما يصف الدواء ، وجائز أن يكون دواؤه مراً فيتأفف منه المريض ويتناوله غضباً ، ولكن فى النهاية يشعر بأنه استراح من وطأة العلة وثقل المرض ، وعندئذ يشعر بقيمة الطب والطبيب .

وهكذا فعل محمد عليه السلام . فقد رأى الأنصارى سينحدر إلى هاوية التسول فأنقذه منها بمهارة فائقة ، ولما أحس الأنصارى بأن رجولته أصبحت متحركة ، وأن المال تعبدت طريقه إليه ، جلس فرحا بين يدى الرسول ، فقال له عليه السلام « هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة فى جهك يوم القيامة » . . نعم يا رسول الله . . لقد حررت شعوبا وخرجت أجيالا وبعثت الإنسانية من جديد .

إنك لتقول لذلك السائل ، إن المسألة تجىء نكتة فى وجه صاحبها يوم القيامة فيهرول راضيا إلى الصحراء حاملا قدومه على كتفه ، لكى يتفادى الضيم فى الدنيا ، والنكتة أى العلامة فى الآخرة .

لقد كنت يارسول الله برا بأصحابك رءوفا رحيما بهم ، تقدم لهم النصائح فى إطار رائع وتنظيم فنى دقيق ، وكنت ترسم لهم الخطوط الهادفة ليعملوا على ضوئها فى ترتيب واتساق .

ألم تقل لهذا الأنصارى « إن المسألة لا تصلح إلا لذى فقر مدقع أو لذى غُرم مفظع أو لذى دم موجع » ؟

وأى روعة أعظم من هذه الروعة ؟وأى أسلوب أدق وأرق من هذا الأسلوب؟ ذلك لأن التسول فى نظر محمد الرسول لا يليق بحال ، فإن كان ولابد فليكن لذى فقر شديد أو دين فظيع أو مرض ملح .

يا رسول الله .. لقد وهبتك السماء الخير كله . فنشرته على العالم فى صور تهذيبية لماحة ، ضننت به على أحد حتى الأنصارى أبيت عليه أن يكون عالة أو كلا ، يجود

عليه كريم ويرده بخيل ، فنفخت فيه من مشاعل النبوة فأصبح إنسانا له ضمير وفيه إحساس ، يعطى ولا يُعطى . ويتصدق ولا يُتصدق عليه

يا لك من نبى عظيم :

حرمت المسألة بتاتاً وقلت عنها شر ، وشر منها أن يتعودها امرؤ لا تصلح له ، فيلقى الله وليس فى وجهه مزعة لحم .

صلى الله عليك يا طبيب الإنسانية ، ورضى الله عن صاحبك الأنصارى الذى تقبل تعاليمك راضيا شاكرا

شهيد التصوف الإسلامى

الحسين بن منصور الحلاج

طالما ترقب عشاق الحياة الروحية المضيئة هذا الكتاب ، عن الشهيد الخالد الحسين بن منصور الحلاج ، الذى كان النبأ العظيم فى أفق المعرفة الصوفية العليا ، والذى قدم دمه فى صور بطولية شامخة ، فداء لعقيدته ورسالته .

ومنذ أيام صدور هذا الكتاب المرتقب ، فى ثوب قشيب ، وطباعة فاخرة ، ليعرض على جبين الدنيا سيرة هذا القطب الروحى العظيم وعلومه وفلسفته وعجائبه وأسراره واستشهاده وفتوحاته فى عالم الروح والحب والإلهام .

كتبه بأسلوبه الروحى المشرق الأستاذ طه عبد الباقى سرور ، فجاء درة متلألئة فى سفط دراساته الصوفية المتتابعة .

ويطلب الكتاب من المكتبة العلمية ، ومن إدارة مجلة الإسلام والتصوف ، وثمن النسخة خمسون قرشا .

لا سلام ولا كلام

للأستاذ محمود شلبي

الذين يلتمسون السلام من كل ناحية ، إلا من ناحية واحدة . . . هى طاعة الله . . . أولئك الذين بعدوا عن الحق ، وكان لهم السلام حلماً بعيداً .

لأن إرادة الله اقتضت إعلان الحرب على الذين يعصون الله . . .

ماذا أريد أن أقول ؟

أريد أن أقول إن الله قرر نواميس فى الحياة لا تتبدل ولا تتغير .

فمن نواميس الله الدائمة أن الأمن للناس إذا أطاعوا الله ، والخوف للناس إذا عصوا الله .

السلام للطائعين . . . والحرب على العاصين فهل البشرية طائعة لله ؟

أيا ما كانت الألوان والأجناس واللغات والأديان . . . هل البشرية طائعة لله .

كلا . . . البشر كلهم عصاة لله . . . وإن شئت فها هى الأرض أمامك . . . أرنى فيها وجه الطائعين لأقبلهم !

سيقولون هناك المسلمون . . . وأقول لهم أو إن شئتم قولوا المستسلمون . . . ثم ائتونى كم من المسلمين يعبد الله كما يحب الله ويرضى ؟

سيقولون كثير . . . قلت مهما كان عددهم فهم قليل القليل بالقياس إلى أهل الأرض أجمعين .

وصلنا إذا إلى نتيجة حتمية . . إن أكثر أهل الأرض لا يؤمنون ، وإن آمنوا لا يخلصون وإن أخلصوا لا يثبتون .

فما كان جواب القدر ؟

كان جوابه أن العقاب آت لا ريب فيه . . جزاء وفاقا ، لما عليه الناس من تحول عن الله .

وهذا العقاب يأخذ أساليب شتى فالآفات الزراعية ، تأكل الأخضر والأصفر عقاب .

ودفع الناس بعضهم ببعض عقاب وإصابة الأبدان بالأمراض عقاب والغلاء العام عقاب .

والقلق والخوف الدائم عقاب .

والرهبة من المستقبل المحفوف بالمخاطر عقاب

كل هذا عقاب . . . وغير هذا مما لا يعلمه إلا الله عقاب .

وهو سبحانه يصب منه كيفما شاء على من شاء « عذابى أصيب به من أشاء » .

وعذاب الله يكون فى الدنيا قبل أن يكون فى الآخرة .

ودع عنك عذاب الآخرة جانباً الآن ، فإن أكثر الناس لا يؤمنون به ، وهم منه فى شك مريب .

وإنما نحن بسبيل العذاب الدنيوى ، ذلك العذاب الأدنى الذى يعانيه الخلق ويذوقون منه كل يوم كثيراً .

إن العالم كله الآن ، شرقيه وغربيه ، يعيش فى قلق وخوف دائمين ، كل يتربص بالآخر ، ولا يدرى متى يبغت بعضهم بعضاً .

ثلثى ميزانيات الشرق والغرب تنفق فى التسلح . . لماذا ؟

لأن الناس يخشى بعضهم بعضا .

فمن الذى صب عليهم ذلك الخوف ؟

الله هو الذى أصابهم بهذا العذاب ، جزاء ما هم فيه من كفر وعصيان .

إن الغرب والشرق الغارق فى الكفر والعبث ، ليس له أن ينتظر سلاماً ، وإنما الحرب دائماً ، لأنهم يحاربون الله ، فحق عليهم الحرب من الله .

فإن قيل ولكن الناس أنفسهم يحاربون ؟ فما دخل الله فى الأمر ؟

قلنا يا محاتين . . وإن من شىء إلا هو آخذ بناصيته . . . وهل يستطيع أحد أن يفلت من إرادة الله فيه ؟

تلك هى المشكلة من أعمق أعماقها . . . بشرية كافرة عاصية . . . استحقت عذاباً على سلوكها . . . فهذه الحرب التى يستعد لها الطرفان ، هى النتيجة الطبيعية لسلوك الإنسان .

ومثل الناس فى هذا ، كمثل الخارج على القانون ، حين يساق إلى السجن جزاء جريمته

كذلك الناس يساقون إلى مذابح الحروب ، جزاء خروجهم على القانون الطبيعى قانون السماء .

فعلى الذين يحلمون بالسلام أن يوقنوا أنه « لا سلام ولا كلام ، وإنما هى الحرب تلو الحرب ، لأنهم يزدادون آثاماً يوماً بعد يوم .

لأن الحرب هى ثمرة الجريمة العامة التى اصطلحت عليها البشرية ، جريمة الإعراض عن الله والكفر بالله .

إنهم يقولون كل شىء ، ويتصورون السلام فى كل شىء . . . إلا أن يكون عن طريق الإيمان بالله والإستقامة على أمر الله .

ولكن السلام لن يكون فى الأرض إلا من هذا الطريق . . . وهذه هى العقدة

نعم . . . هذه هى العقدة ، لأن الناس أنفسهم لا يتصورون أن السلام فى الأرض له علاقة بطاعة الله أو معصيته ! !

والحقيقة السافرة أن البشرية كلما تقدمت وتحضرت ، كلما ازدادت حروبها وازدادت شرورها .

وإن هى عاشت فى السلام حيناً ، فانما هى هدنة مسلحة ، أو فترة ما بين حربين وليست سلاما حقيقياً ، ولا رغبة فى السلام .

فالأصل الأصيل ، والسر الدفين فى وجود الحرب ، هو معصية الناس لله . . . تلك التى تستوجب أن يعذبهم الله بعضهم ببعض .

فإن تصور الناس امتناع الشر منهم ، أمكن أن يتصور امتناع الحرب بينهم .

فاذا كان الشر بين أصول تكوين الإنسان ، وجب الإعتقاد أن الحرب من أصول تكوين الإنسانية .

وهذا ماشهد به التاريخ فيما مضى ، وسيشهد به التاريخ فيما هو آت .

ولئن كانت هذه صدمة أليمة الذين يحبون السلام ، ويتمنون السلام . . . إلا أنها هى الحقيقة ، رغم مرارتها ، ورغم آلامها .

وآية ذلك أن زعماء العالم الغربى والشرقى ، يتنادون بالسلام ، ومن ورائهم مالا يحصى من أدوات الدمار والخراب .

ويتنادون بنزع السلاح ، وكل منهم يعد السلاح ؟

ويبدون رغبتهم فى التفاوض ، وهم يخفون رغبتهم فى إبادة بعضهم البعض .

فإن شاءت البشرية سلاما دائماً فلتنظر موقفها من الله .

فإن كان ازورارا عنه سبحانه ، وإعراضا عن طريقه ، فلتسعن على أمره ، ثم تنتظر بعد ذلك السلام والوئام .

أما أن تكون قلوب الناس قلوب الذئاب ، ثم يلبسون مسوح الضأن ، ويتمنون السلام ، فذلك مالن يكون ، لأنه مضاد لسنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

الإيمان بالله أولا ، وطاعة الله ثانيا والسلام على الأرض ثالثا .

وطالما أن هناك حقا وأن هناك باطلا ، وأن هناك شراً ، وأن هناك خيراً ، فالحرب باقية ، لأنها السبيل الوحيد ليدفع المظلوم بها عن نفسه ظلم الظالمين .

وهذا ما تدركه الأمم بغريزتها التى فطرها الله عليها ، غريزة الدفاع عن النفس .

والسلام الدائم يتصور ، لو تصورنا امتناع الشر من النفوس .

وفى رأيى أن أساليب الدمار والإفناء التى وصلت إليها الكتلتان المتصارعتان على الأرض ، هو تمدد طبيعى يمضى وجها لوجه مع تمدد الإنسانية فى معصية الله ربها .

لقد بلغ الإنسان حداً عجيباً من الكفر بالله ، حتى أصبح هناك عالم بأكمله ، نحوا من نصف البشرية ، هو العالم الشيوعى ، لا يؤمن بالله ، ولا بمجرد فكرة الله .

وهناك العالم الغربى الراقص العابث الذى أعطى دينه ظهره ، وأقبل على دنياه يغترفها اغتراف الوحش الجائع لدماء فريسته .

فهل هؤلاء هم الذين يقررون السلام ؟ كلا . . . ثم كلا . . .

إنهم يخادعون الله ، وهو خادعهم وسوف يعلمون يوم تشتعل الحرب القادمة ويتناثر الدمار والخراب الهيدروجينى فى الأرض . . . يومها يعلمون أن الله يصفى حسابه مع العصاة . . . وأنه إذا أخذهم لم يفلتهم .

إن السماء تقول : لا سلام ولا كلام . والناس يقولون : نريد السلام ، نريد السلام . والحقيقة تقول آمنوا بالله ربكم ، يأتكم السلام والوئام ، ويصبح حديث الناس : اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت ياذا الجلال والإكرام ؟

آداب الطريق

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

(٧)

دعا الصوفية إذن إلى العلم ، ولكن دعوا إليه بشروطه التى تهدى ولا تضل ، دعوا إلى العلم النافع الموصل إلى حضرة الحق ، واعتبروه فريضة على كل مسلم ومسلمة ، فكل باب من العلم يصل إلى الله بمعرفته فرض عين ، وكل باب يبعدعن الله فالأحتراز منه واجب ؛ ولذلك كان الصوفية وتلاميذهم فى عصمة من الزلل وفى مأمن من العثرات .

من لنا فى مدارسنا بمناهج الصوفية وتعاليمهم ؟ نعم . فما أحوجنا فى حجرات الدروس إلى طالب يعرف حق أستاذه فيحترمه وحق درسه فيقدسه وحق واجبه فيؤديه ! ما أحوجنا إلى طالب يكون كل غايته الوصول إلى الحقيقة فيناقش بأدب ، ويجادل لغاية كريمة ، فإما أقنع وإما اقتنع !

نحن فى حاجة إلى منهج يحفظ للدين روعته وجلاله ، ويخلق من الطلاب رجالا مثاليين صالحين لتوجيه أنفسهم وتوجيه أجيال تأتى من بعدهم : أما هذه الليونة فى الأخلاق التى تحب التقليد الأعمى ، وتتأثر بالتيارات المختلفة ، وتعشق كل جديد ولو كان ضارا فلا غناء للوطن فيها .

ولقائل أن يقول : هذا دور المعلم لا المنهج ، وأنا معه فى ذلك فنحن أيضا فى حاجة إلى ذلك المعلم الحكيم الذى يفهم رسالته حق الفهم ، ويقدس مهنته ، ويدرك تماما أنها رسالة الأنبياء ، وأن دور المعلم فى منتهى الخطورة ، فعليه أن يسمو بفنه ومهنته فوق مستوى المادة ؛ حتى يكون غرسه فى تلاميذه ميمون الجنى مبارك الثمرات ، وعليه أيضا أن يعرف أن مهمته لا تنتهى بانتهاء يومه الدراسى ، بل

بالعكس ، فربما تبدأ مهمته بعد انتهاء اليوم الدراسى ، وإنى لأذكر أيام أن كنت مدرسا فى المنيا طالبا حاور أساتذته كثيراً فى وجود الله ، فما كان من زميلنا الأستاذ « حسنى طه شكيبان » إلا أن عقد ندوة بعد انتهاء اليوم الدراسى ، ودعا إليها كثيراً من رجال العلم والأدب ، وألقى محاضرة قيمة موضوعها « أرنى الله » تحدث فيها عن هذه القوة الأزلية الخالدة ، التى صار فيها كثير من الفلاسفة والمفكرين ، وانتهى عن طريق الأمثلة الحية المحسوسة ، والنقاش العقلى المثمر ، إلى أن أقتنع هذا الطالب اقتناعا تاما . بعد أن كان شاكا تماماً .

فمثل هذا المعلم يعتبر مكملا للمنهج إذا ماوجد فيه نقص ، ولكن ما العمل إذا افتقرنا إلى مثل هذا المعلم ؟ لابد إذن أن يكون منهجنا كاملا من الأصل . لابد أن يشتمل منهج المدرسة الإبتدائية على نصوص كثيرة من آدب القرآن الكريم والحديث الشريف ، وأمثلة عملية من سيرة الأنبياء والصالحين ..

إن الآيات المدروسة والمحفوظة من القرآن الكريم فى تلك المرحلة لا تتجاوز الخمسين آية إلا قليلا ، وليس هناك حديث شريف واحد . مع أن هذه المرحلة هى مرحلة الحفظ والتكوين . حيث تكون الذاكرة أشد ، والحافظة أقوى ، وإننا لا زلنا نذكر كيف تمكنا قديما من أن نحفظ القرآن الكريم كله فى المرحلة الاولى .

ولقد خطت محافظة المنوفية خطوة مباركة فقررت تدريس القرآن كله فى مدارسها على اختلاف مراحلها وانتظرنا أن تخطو بقية المحافظات مثل هذه الخطوة ، وتحتذى حذوها ؛ ولكننا لم نجد هذه الخطوة ولئن صح ذلك لكان هذا وعيا جليلا ولفتة كريمة إلى ذلك التراث الصوفى فى التربية والتهذيب .

ويا حبذا لو أصبحت التربية الدينية والخلقية مادة أساسية فى جميع صفوف المدارس الإعدادية والثانوية بما فى ذلك السنوات النهائية منها ؛ ولا يكتفى فى ذلك بالصف الأول والثانى فقط . كما هو متبع الآن .

فإن الطالب يؤدى امتحان التربية الدينية فى الصفين الأولين ولا يؤديه فى الصف الثالث . ومادام الطالب يدرك أن هذه المادة ليست ضمن المواد التى سيمتحن

فيها فى الشهادة فمعنى ذلك أنه لا أهمية لها بالنسبة له ؛ وبذلك يضيع كل مجهود عبثا فى تدريسها فى الصفين السابقين . وإذاً يجب أن يعقد فيها امتحان آخر كل عام وتكون درجة النجاح لا تقل عن ٥٠٪ من النهاية الكبرى ؛ مع تكليف الطلاب والطالبات تقديم البحوث الدينية والخلقية ؛ ودراسة الشخصيات التى كان لها أثر كبير فى نشر رسالة الإسلام ، والإصلاح الإجتماعى ، والتصوف من أمثال الخلفاء الراشدين . وعمر بن عبد العزيز وخالد بن الوليد والغزالى ومحمد عبده وجمال الدين الأفغانى ومصطفى كامل وأحمد عرابى وغيرهم .

وقد اتبعنا هذه الطريقة فى تدريسنا فكان لها أوضح الأثر فى زيادة الوعى الدينى وإيقاظ الروح الخلقية والقومية .

ثم لماذا لا يدرس التراث الصوفى فى المعاهد الدينية ، إن الأزهر فى تطوره الجديد جدير بأن يدخل فى حسابه دراسة تاريخ التصوف وأصوله وقواعده ومواجيده وآثاره ورجاله ، وعليه ألا ينسى كما نسى فى الماضى هذا التراث الخالد الذى كان له أثر كبير فى نشر رسالة الإسلام وفى السمو الروحى والخلقى ، وفى خلق أذواق عالية لا يدركها إلا قوم صفت أرواحهم ، ورقت أذهانهم وخلصت نفوسهم فانقطعت من الخلق إلى الحق . وتمكنت من أن تدرك أسرارا حيرت العقول ، وقصرت دونها الأوهام والأفهام .

ولماذا لا يحذو الأزهر حذو كبرى الجامعات فى الشرق والغرب التى أفردت للتصوف كراسى وأساتذة ورصدت له أجهزة كبيرة من نتائجها مالا يحصى كثرة كتباً وبحوثا ورسالات فياضه بكل عظيم وجليل .

ولقد نادى كثير من رجال الفكر والأدب بضرورة دراسة التصوف فى الأزهر ؛ لأنه من صميم رسالته ، ولكن ذهبت هذه الصيحات أدراج الرياح . فلعلنا ونحن على أبواب نهضة حديثة متطورة يكون لهذه الصيحات صداها المطلوب ، وتشرق شمس التصوف من جديد فى أروقة الأزهر وأبهائه . وبذلك تعود المياه إلى مجاريها .

أقول : إنه بالرجوع إلى هذه التربية الدينية والثقافة الروحية . نقى أولادنا شر الاشرار ونحفظ عقولهم من هذه التيارات المنحرفة لأننا تمكنا من تحصينهم بذلك النور الأزلى الذى ينادى « إن عبادى ليس لك عليهم سلطان » فيمضون يبحثون ويكتشفون ويخترعون ويشقون الفضاء ؛ ويخترقون أجواز السماء تحرسهم عناية الله ؛ حيث وجدوا من وراء ذلك تأييداً ؛ ودليلا جديداً ؛ على قوة واجب الوجود وحكمته ومقدرته ؛ وبذلك يحققون معنى ذلك القول الخالد » « تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ؛ وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ؛ إنه كان حليما غفورا » .

تعيينات

اعتمدت المشيخة العامة التعيينات الآتية .

١ — تعيين الشيخ محمد السيد على الشهير بعبد الناصر خليفة خلفاء الطريقة السادة الأحمدية التسقيانية بقسم أول أسيوط .

٢ — الشيخ إبراهيم على عبد الحى نائباً للطريقة السمانية الخلوتية عن نقطة المناشى .

٣ — الشيخ نادى محمد أحمد نائباً لطريقة السادة البيومية بمحافظتى الفيوم وبنى سويف وبندر الفيوم .

٤ — الشيخ عبد الفتاح محمد أيوب نقيباً للطريقة البيومية بمحافظتى بنى سويف والفيوم .

إحتفالات وكلاء المشيخة العامة

بالمولد النبوى الشريف

إحتفل أبناء الطرق الصوفية ، فى كل مكان بالجمهورية العربية بأخلد الذكريات وأجلها وأكرمها ، على قلوب المسلمين كافة .

إحتفلوا بذكرى المولد النبى الشريف ، متخذين من هذه الذكرى ، الأسوة الحسنة ، والقدوة الصالحة ، مجددين العهد والميثاق لنبيهم العظيم ، أن يكونوا كالعهد بهم أبدا ، الأمناء على رسالته ، الأوفياء لسنته ، المعتصمون بهديه ، المتخلقون بأدبه ، المتحلون بخلقه . ونحن ننشر هنا خلاصة سريعة لهذه الأحتفالات مستقاة من رسائل السادة الوكلاء وتقاريرهم :

المحلة الكبرى :

● أقام السيد السعيد عبد الحليم كفتان وكيل المشيخة سرداقاً كبيراً طيلة أيام المولد . وفى الليلة الختامية لبى دعوة سيادته عدد كبير من العلماء والأدباء وكبار رجال الإدارة فى طليعتهم الأستاذ محمد عبد المجيد كريم رئيس مجلس المدينة ، والدكتور على عبد الرحمن وكيل المجلس والسيد مأمور المركز والسيد مأمور البندر وفضيلة الشيخ منير الهلالى رئيس المحكمة العليا الشرعية سابقاً .

ثم سار الموكب الصوفى فى نظام جميل رائع يرتل الأناشيد الدينية والأذكار الشرعية .

ثم تليت فى السرادق القصة النبوية ألقاها الأستاذ محمد الرفاعى المقدم شيخ معهد المتولى الدينى بالمحلة .. وتوالت كلمات الخطباء واختتم الحفل الكريم بالهتاف بحياة السيد الرئيس جمال عبد الناصر والدعاء له .

جرجا :

• أقام السيد حامد عبد الجواد المصرى وكيل المشيخة العامة سرادقاً فخماً منذ اليوم الأول من شهر ربيع . حيث غدا ملتقى لأبناء المدينة جميعاً يذكرون فيها الله ويطعمون الطعام على حبه وتتلى فيه آياته وتقام فيه ندوات الوعظ والإرشاد .

وفى الليلة الختامية استمع رواد السرادق إلى كلمة سماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية التى أذيعت بالراديو .

ثم طاف الموكب الصوفى بأرجاء المدينة بين التهليل والتكبير وذكر الله .

وعند تمام طوافه ارتفع الدعاء لرائد القومية العربية الرئيس جمال عبد الناصر بطل الحرية والسلام .

منوف :

• احتفل السيد عبد الهادى الضرغامى وكيل المشيخة بأيام المولد الشريف بتلاوة القرآن الكريم وحلقات الذكر وندوات الوعظ التى كان يؤمها كبار رجال مدينة منوف وعلماؤها وأهل الفضل والمكانة فيها .

وفى الليلة الختامية سار الموكب الصوفى المعتاد وقد اشترك فيه السادة السطوحية الأحمدية والسادة الرفاعية ، والسادة السعدية ، والسادة الأحمديه المنايفة ، ثم وزعت الصدقات وتليت القصة النبوية الشريفة .

دسوق :

• تلقينا من السيد عبد السيد فتح الله محمد شتا وكيل المشيخة رسالة قال فيها :

احتفل رجال الطرق الصوفية بالمولد الشريف بإقامة حلقات الذكر ، وترتيل

آيات القرآن ، ونذوات الوعظ والإرشاد ، وإطعام الطعام وتوزيع الصدقات ، وكانت أيامه بشراً وتهليلا ، ولياليه حمداً وتكبيراً .

ثم سار الموكب الصوفى فى الليلة الختامية يتقدمه الخيالة والمشاة فكان عيداً قومياً يحوطه الوقار ، وتحفة المهابة ، ثم تليت القصة النبوية وتبادل الناس التهانى والدعاء لخير الإسلام ومجد العروبة .

دمنهور :

● احتفل السيد محمد أحمد الخراشى وكيل المشيخة العامة بذكرى المولد بمنزله وبمسجد جده الشيخ الخراشى بإقامة الأذكار ، وتلاوة القرآن . ثم تليت الصفة النبوية فى الليلة الختامية .

كما احتفل بتسيير الموكب الصوفى المعتاد بنظام جميل اشترك فيه أبناء الطرق جميعاً ذاكرين الله ومصلين على نبيه .

كما تلقينا من سيادته كلمة طيبة بليغة عن المولد ورسالته .

دمياط :

● تلقينا من السيد أحمد محمد العيسوى وكيل المشيخة الكلمة التالية .

نظمنا ترتيب الموكب الذى بدأ سيره على أتم نظام من ميدان المتبولى مخترقاً أهم شوارع المدينة حتى انتهى مسيره أمام مكتب المشيخة — وقد اشترك فى السير فى هذا الموكب جميع رجال الطوائف الصوفية بما فيهم المتخلفين فى الأعوام السابقة كما اشترك فيه موسيقى البلدية وموسيقى مؤسسة البنين ووحدات من رجال الشرطة الراكبين والمشاة ووحدة من المطافىء وأخرى من الإسعاف وكنا فى انتظار الموكب بالسرادق المقام أمام مكتب المشيخة وقد شرفنا السيد محافظ الإقليم والسادة مدير الأمن وحكمدار الشرطة ورجال الدين ورؤساء المصالح والضباط والمحامين والتجار

والمهندسين وغيرهم من رجالات المحافظة وقد شاركنا السيد المحافظ فى تحية الطوائف طائفة طائفة فكافح معنا منذوبى كل طائفة .

وقمنا بإحياء تلك الذكرى الخالدة فى مساء نفس اليوم بتلاوة آى الذكر الحكيم وتلاوة القصة النبوية الشريفة واختتمت بالدعاء للعرب والمسلمين وحامى العروبة الرئيس جمال عبد الناصر .

شربين :

• تلقينا من السيد يحيى محمد الشربينى وكيل المشيخة صور البرقية التى أرسلها سيادته للسيد الرئيس جمال عبد الناصر . وصورة البرقية التى تفضل بإرسالها السيد الرئيس إليه .

برقية الوكالة العامة بشربين

السيد الرئيس جمال عبد الناصر ... رئاسة الجمهورية القاهرة

رجال الطرق الصوفية ووكيلها بشربين يهنئون سيادتكم بذكرى المولد النبوى الشريف ويدعون الله أن يوفقكم إلى حمل ألوية الدين الحنيف حتى يعم السلام أقصى المعمورة

عنهم / وكيل المشيخة بشربين

يحيى الشربينى

فى ١٢ / ٩ / ٦١ صورة نص برقية السيد / الرئيس جمال عبد الناصر

السيد / يحيى الشربينى وكيل المشيخه العامة بشربين .

أشكركم وللسادة زملائكم على تهانيكم بمناسبة المولد النبوى الشريف وأقرب لكم وللجميع عن أخلص التمنيات .

وكيل المشيخه العامة بشربين

يحيى محمد توفيق الشربينى

أطسا فيوم :

● تلقينا من السيد على نجيب شرابى وكيل المشيخة الكلمة التالية :

إحتفل رجال الطرق الصوفية بتسيير موكبهم الصوفى الكبير الذى اشترك فيه أبناء السادة البيومية والرفاعية والقادرية والأحمدية المرازقة والجنيدية الخلوتية والقياتية والصاوية .

وقد طاف الموكب بأرجاء المدينة يتقدمه قوات البوليس ، وقوات المطافى ورجال الإسعاف

كما اشترك فيه رجال الدين جميعاً وأعضاء الجمعية التعاونية وطلبة المدارس .

وعند تمام طوافه استقبله السيد مأمور المركز نائباً عن السيد محافظ الفيوم وكان بصحبته السيد رئيس مجلس المدينة ، والسادة الضباط وأعضاء الإتحاد القومى .

وفى مساء الليلة الختامية أقام السيد خليفة الخلفاء للطريقة الأحمدية احتفالا بمسجد المركز الجديد حضره لفيف كبير من العلماء والأدباء ورجال الإتحاد القومى حيث تليت القصة النبوية الشريفة وارتفع الهتاف للسيد الرئيس المحبوب جمال عبد الناصر .

أشمون :

● احتفل السيد عوض محمد زلابية وكيل المشيخة العامه بأيام المولد المباركة وفى الليلة الختامية شهد الحفل الكبير نواب وخلفاء الطرق الصوفية والعلماء ورجال الأدات والسيد نقيب الأشراف والسيد الواعظ .

وافتتح الحفل بتلاوة الذكر الحكيم ثم ألقى السيد الواعظ كلمة فى تحية المولد وتتابع الخطباء متخذين من سيرة سيد المرسلين .

وسار الموكب الصوفى فى نظام بديع يتقدمه السيد مأمور المركز والسد نائبه وسرية من رجال البوليس وقد استقبلته الجماهير بالتحية والتقدير .

الإسكندرية :

● احتفلت مدينة الإسكندرية بمولد الرسول صلوات الله وسلامه عليه بإقامة السرادقات والزينات وتوزيع الصدقات والندوات العلمية و الدينية مما جعل من هذا الإحتفال الكريم عيدا شعبياً قومياً له جلاله وإلهامه .

وقد أشرف على الإعداد والتوجيه السيد الحاج إبراهيم محمد حماد مخلوف عضو مجلس الأمة ووكيل المشيخة الصوفية العامة .

وفى مساء الليلة الختامية سار الموكب الصوفى الكبير الذى انتظم فيه رجال الطرق جميعاً .

وابتدأ الموكب العظيم من ميدان النصر مخترقا الشوارع الكبرى وانتهى إلى مسجد أبى العباس المرسى حيث كان فى استقباله سيادة محافظ الإسكندرية وكبار رجال الإدارة ورجال الهيئات الدينية والعلمية وأعضاء الإتحاد القومى .

كما قامت مواكب صوفية أخرى اشترك فيها أبناء الأحياء الوطنية بباكوس ، وراغب باشا ، والمراغة ، والعطارين ، ومحرم بك ، ومنيا البصل وغيرها من الأحياء الوطنية .

منيا القمح :

● تلقينا من السيد عبد الرحمن جمعة مشهور وكيل المشيخة البيان التالى :

إحتفل رجال الطرق الصوفية ببندر منيا القمح شرقية بالمولد النبوى الشريف فى هذا العام بإقامة السرادقات وعددها وقد أحيوا جميعاً ليالى المولد النبوى الشريف

بتلاوة آى الذكر الحكيم وإقامة الشعائر الدينية وكان لتعاون رجال الوعظ والإرشاد مع رجال الطرق الصوفية وكذلك الأعيان ورجال الإدارة نشاط ملحوظ مما زاد فى بهجة هذا الاحتفال وفى الليلة الختامية قام رجال الطرق الصوفية بالتعاون مع رجال الإدارة والأعيان بتنظيم موكب صوفى طاف حول المدينة مما كان له أكبر الأثر فى نفوس أهل المدينة وما حولها من بلاد مجاورة وانتهى الموكب على أحسن حال من آداب وبهجة وكمال . أعاد الله أمثال هذه المناسبة السعيدة علينا وعليكم وسائر المسلمين فى جميع بقاع الأرض سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يزيد من شأن جمهوريتنا الفتية فى ظل رائد القومية العربية السيد الرئيس جمال عبد الناصر .

أبشواى فيوم :

● إحتفل السيد عبد البر محمد وكيل المشيخة العامة بإحياء ليالى المولد الشريف بإقامة حلقات الذكر وندوات العلم .

وفى مساء الليلة الختامية ، انتظم أبناء الطرق الصوفية فى موكبهم الصوفى الرائع حيث طاف الموكب بأرجاء المدينة إلى أن دخل مسجد عزام . فتليت الدعوات وتبادل الناس التهانى بهذه الذكرى الخالدة .

البلينا :

تلقينا من السيد عبد المبدى محمد أحمد نور الدين التالى :

كان الاحتفال بمولد الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى هذا العام من أبهى وأروع ماشهدت المدينة من احتفالات . حيث تلألأت الأنوار فى كل مكان ، وأقيمت السرادقات ، وحلقات الذكر ، وندوات الوعظ .

وفى مساء الليلة الختامية سار الموكب الصوفى تتقدمه فرق الموسيقى ورؤساء المدينة حتى وصل إلى المركز وهناك ارتفع الهتاف بحياة الرئيس المجاهد جمال عبد الناصر رائد العروبة ورجل الإسلام والسلام .

زفتى :

• أرسل إلينا السيد مصطفى محمود عبد الغنى وكيل للمشيخة الكلمة الآتية :

قمنا بإحياء مولد الرسول ابتداء من أول شهر ربيع الأول وقد أقمنا سرداقاً كبيراً كان يتوافد إليه العلماء والوعاظ كل يوم لإلقاء كلمة الإرشاد والتوجيه .

وفى مساء الليلة الختامية سار الموكب الصوفى تتقدمه موسيقى البلدية وفى نهاية المطاف استقبله السيد رئيس مجلس المدينة والسيد مأمور المركز .

و بعد صلاة المغرب توافد على السرادق الكبير جميع علماء وكبار رجال المركز وأعضاء الاتحاد القومى وقد قمنا بتوزيع الصدقات وتلاوة آيات الذكر الحكيم وقراءة القصة النبوية ثم ارتفع هتاف الجميع بالدعاء للرئيس المحبوب جمال عبدالناصر سدد الله خطاه وأيده ورعاه .

ميت غمر :

• تلقينا من السيد محمد على حسن وكيل المشيخة البيان التالى :

عندما هل هلال ربيع الأول الذى بارك الله وكرمه وجعل فيه مولد رسول الرحمة المبعوث رحمة للعالمين ولما كان رجال الطرق الصوفية هم بحق أحق الناس بالإحتفال بهذه الذكرى الشريفة و بناء على النشرة الدورية الواردة إلينا من المشيخة العامة بما يجب اتباعه . فقد قمنا باستدعاء نواب وخلفاء ورجال الطرق الصوفية ممن يخلفون بهذه الذكرى . وأعيان المدنية وهنأنا هم بحلول هذا المولد الشريف وقمنا بوضع خطة الاحتفال وترتيبه وتم بحمد الله على خير مايرام وعلى خير وجه وما يتفق وجلال الذكرى وقمنا كذلك بالإتفاق على سير الموكب وكان ذلك بالسرادق المقام أمام منزلنا .

أما بخصوص إحياء ليالى المولد فقد قمنا بمباشرتها ومباشرة من يحتفلون بها من النواب

والخلفاء ورجال الصوفية وكانت قاصرة على تلاوة أى الذكر الحكيم وتلاوة الأوراد وإلقاء المحاضرات الدينية الثقافية وكانت مجالس الذكر خالية تماما من كل ما يشوبها ومرت ليالى المولد الشريف ولم يحصل ما يعكر صفو الإحتفال .

وأما بخصوص سير الموكب فقد تقدم الموكب موسقى البلدية تتبعها رجاله الادارة والجنود ثم تبعها رجال الطرق تتقدم كل طريقة علمها الخاص بها ومر الموكب بأهم شوارع المدينة وكان خال تماما أيضا من البدع والخرافات المدسوسة على الصوفية وخال تماما من كل ما يخالف الشرع الشريف مطابقا لتعليمات المشيخة العامة .

وقد وزعت الصدقات على المحتاجين من فقراء المدنية وكانت قلوب الملايين تضرع إلى الله أن يعيد هذا المولد النبوى الشريف على الأمة الإسلامية وقد تحررت الدول العربيه جمعاء من شر ما تخافه فى ظل قائدنا زعم العروبة حامى الإسلام و بطل السلام السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

والله أكبر والعزة للعرب .

سمنود :

• إحتفل السيد عبد العزيز أحمد صيام وكيل المشيخة بإحياء ليال المولد الشريف وقد أقام سيادته سرادقا فسيحا كان عامرا طوال الليالى المباركة بندوات العلم وحلقات الوعظ مع اطعام الطعام .

وفى الليلة الختامية حضر الحفل الكبير السيد رئيس مجلس المدينة والسيد مأمور المركز والسيد نائب المأمور وكبار الموظفين وأعضاء الأتحاد القومى وفضيلة مفتش المساجد وعلماء المركز .

وبعد تلاوة القصة النبوية وزعت المرتبات والحلوى وتبادل الناس التهانى .

كما سار الموكب الصوفى الكبير حيث طاف بأكبر شوارع المدينة حيث استقبل فى كل مكان بالتقدير والاحترام والمشاركة القلبية :

كفر صقر :

• إحتفل السيد محمد محمد وصيف وكيل المشيخة بالذكرى النبوية الخالدة طوال الأيام المباركة .

وقد أعد سيادته سرداقاً فسيحاً كان عامراً بالذكر والصلوات على الرسول مع إطعام الفقراء والبر بهم .

وفى الليلة الختامية تليت القصة النبوية على الألوف المحتشدة من كل مكان مبتهجة سعيدة بالذكرى المباركة .

وقد سار الموكب الصوفى الذى اشترك فيه أبناء الطرق جميعاً حيث طاف بأرجاء المدينة بين مظاهر البهجة والسرور والتهليل والتكبير والذكر والدعاء .

مركز الخانكة :

• إحتفل السيد أحمد محمد عليوة وكيل المشيخة العامة بإحياء الذكرى المباركة . وكانت ليال الاحتفال عامرة بندوات العلم والأدب والوعظ الهادف الرشيد .

وكان السرادق الكبير الذى أعده سيادته ساحة صوفية صادقة بإذكاره وصلواته وأناشيده .

وفى الليلة الختامية احتفل أهل المركز جميعاً بتسيير الموكب الصوفى المعتاد يحفه الوقار والجلال . ويستقبل فى كل مكان بالتقدير والابتهال والصلاة على صاحب الذكرى والدعاء للسيد الرئيس جمال عبد الناصر بالنصر والتأييد .

مركز قوة :

• إحتفل السيد موسى مصطفى أبو الغيط وكيل المشيخة العامة بذكرى المولد النبوى الشريف .

حيث أقام سيادته سرادقا كبيراً يلتقى فيه أبناء المركز جميعاً على ذكر الله والصلاة على نبيه .

وفى مساء الليلة الختامية سار الموكب الصوفى بأعلامه وشاراته فى نظام رائع وسمت جليل يتقدمه رجال الشرطة برئاسة السيد مأمور المركز .

ثم اجتمع الناس لسماع القصة النبوية وكلمات الوعظ والإرشاد وتبادل الناس التهانى والدعاء .

* * *

ذلك بعض ما وافانا به بعض السادة الوكلاء وسننشر إن شاء الله ما يصل إلينا تباعا إجلالا للذكرى الخالدة وتقديرا وحبا لصاحبها أشرف خلق الله وأكرم رسله وهدية والله إلى عباده ورحمة إلى خلقه .. وصلوات الله وسلامه على صاحب الذكرى .

اجتماع عام

للسادة وكلاء المشيخة

وجهت المشيخة العامة الدعوة لجميع السادة وكلاء المشيخة بالمحافظات والمراكز لحضور الاجتماع الخاص بسيادتهم والذى سيعقد بدار المشيخة فى الساعة الحادية عشر من صباح يوم الثلاثاء ١٠ أكتوبر عام ١٩٦١ .

والمشيخة ترجو عدم التخلف لأهمية الاجتماع .

أخبار صوفية

الدكتور أبو الوفا التفتازانى

نال صديقنا الجليل الدكتور أبو الوفا التفتازانى ، شيخ السادة الفتيمينة ، شهادة الدكتوراه ، عن رسالته التى قدمها لجامعة القاهرة ، عن «ابن سبعين المرسى» الفيلسوف الصوفى .

وقد إختار الدكتور التفتازانى لرسالته موضوعا بكراً من شوامخ المعرفة الصوفية الفلسفية ، فإبن سبعين المرسى فى علومه وكتبه من مفصلات الفكر الإسلامى ، ومن شواهقه التى قصرت أجنحة العلماء عن التحليق فى مداره وأفقه .

ولهذا تجنبته أقلام الباحثين ، وتحاشته عقول الدارسين ، مع خطورة شأنه ، وخصوبة تفكيره ، ورسالة علومه ، وحسبنا أن نشير أنه وحده الذى أجاب على التحدى الأوربى ، للفكر الإسلامى ، فكان وحده الذى أجاب على المسائل العلمية التى عرفت فى التاريخ « بالأجوبة الصقلية » .

ومن هنا كان مقام رسالة الدكتور التفتازانى ، التى حلل فيها حياة هذا الفيلسوف الصوفى ، وناقش فيها كتبه وعلومه وآثاره ، وجلاها وأهدها الفكر العربى الإسلامى فى دوره الصاعد .

ومشيخة الطرق الصوفية ، تهنئ الدكتور وهو من أكرم شيوخها على توفيقه ونجاحه .

كما تهنئه مجلة الإسلام والتصوف ، وهو من أجل محرريها متمنية له فى دوره الجديد ، تألقاً وإشراقاً هو به قمين وجدير .

مولد سيدى مرزوق الأحمدى

رخصت وزارة الأوقاف بإدارة مولد القطب الكبير سيدى مرزوق الأحمدى رضى الله عنه ، لمدة ثمانيه أيام أبتداء من يوم الخميس ٥ أكتوبر ١٩٦١ إلى يوم الخميس ١٢ منه حيث يحتفل بسير الموكب الصوفى الرسمى المعتاد

وقد وزع السيد محمد حسن شمس الدين شيخ الطريقة الدعودة على رجالها فى مختلف بلدان الجمهورية العربية للاشتراك فى هذا الإحتفال الكبير ، وسيكون نظام سير المركب كالآتى :- يبدأ فى تمام الساعة الرابعة من ميدان باب النصر ثم يمر بباب الفتوح ، وسوق الليمون ، ومرجوش ، والنحاسين ، وبيت القاضى ، وشارع خان جعفر ميدان سيدنا الحسين والسكة الجديده ، والأزهر .

حفل آل ربيع

أقام فضيلة الأستاذ الشيخ سليمان ربيع الأستاذ بكيلة أصول الدين مأدبة عشاء بداره بمصر الجديدة ، احتفالا بذكرى المولد النبوى الشريف ، كعادته فى كل عام .

وقد شهد المأدبة لفيف كبير من صفوة المجتمع العربى وعلمائه وأدبائه فى طليعتهم السيد أحمد الشرباصى وزير الأشغال وسماحة السيد محمد علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، والشيخ محمد أبو زهرة ، والدكتور عبد الحليم محمود ، والدكتور على عبد الوحد وافى ، والأستاذ محمد صبيح والشيخ ماهر اسماعيل ، والأستاذ طه عبد الباقى سرور .

حيث دار الحديث الممتع للمشرق حول قضايا الفكر الإسلامى ، والخطوط العريضة لنهضة العالم العربى ، فى جومن الإخاء والحب ، تعطره وتظلله نسمات روحية عالية ، من ملهمات الذكرى الخالدة .

مولد أبى عبد الله الحسين

إحتفلت وزارة الأقاف فى مساء يوم الأحد ٢٤ سبتمبر بافتتاح مولد الإمام الشهيد أبى عبد الله الحسين حفيد النبى رضوان الله عليه .

وقد شهد الحفل السادة أحمد عبد الله طعيمة وزير الأوقاف ، والدكتور عبدالمنعم القيسونى وزير الخزانة و يوسف مزاحم وزير الأوقاف ، وسماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية وعلى زاهر وكيل وزارة الأوقاف .

وتحدث فى الحفل السادة حسن كامل المسلطاوى وكيل وزاة الخزانة والشيخ محمد الغزالى مدير المساجد وعبد الرحمن البنا عضو مجلس الأمة .

وافتتح الحفل كما أختتم بتلاوة آى الذكر الحكيم .

ابن سبعين المرسى

كانت اللجنة التى ناقشت رسالة الدكتور التفتازانى عن ابن سبعين المرسى مكونة من السادة الدكتور مصطفى حلمى أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف ، والدكتور زكى نجيب محمود أستاذ المنطق ومناهج البحث ، والدكتور توفيق الطويل أستاذ الفلسفة الخلقية . وقد منحت اللجنة مقدم الرسالة الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى .

التصوف وأثره فى العالم الإسلامى

بلغ عدد الذين تقدموا للاشتراك فى مسابقة الأوقاف فى موضوع « التصوف وأثره فى العالم الإسلامى » أكثر من خمسين كاتباً .

سلسلة الدراسات الصوفية

ستقوم إحدى دور النشر الكبرى ببيروت . بإصدار سلسلة الدراسات الصوفية بإشراف الأستاذ طه عبد الباقى سرور .

موالد الأولياء بالإسكندرية

إحتفل رجال الطرق الصوفية بالإسكندرية بإحياء موالد ، سيدى جابر وسيدى كمال وسيدى بشر . وكانت الإحتفالات جميعها نموذجية تسودها روح التصوف الرفيع وأدب الإسلام السامى .

إلى شركات الغزل ومصانع النسيج

تقدم

شركة كليوباتره

جميع أنواع المواد النشوية التي تحتاجها صناعة النسيج والغزل وتشتهر بامتياز صنفها ... واعتدال سعرها

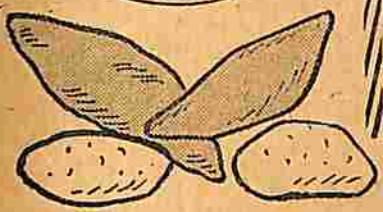

إنتاج

الشركة المصرية لصناعة وتجارة المواد النشوية

كليوباتره

صاحبة أول مصنع في الشرق الأوسط لإنتاج النشا من البطاطا والبطاطس

محمد رضا القاوقجي وشركاه

الإدارة والمكاتب: ٧٨ شارع الأزهر بالقاهرة تليفون ٥٠٦٣٨

المصانع: ٤ طريق بيجام شبرا الخيمة بالقاهرة تليفون ٥٨٦٩٢

اقرأ فى هذا العدد للأساتذة

الدكتور محمد خلف الله أحمد
الدكتور أحمد أمين
الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة
سيادة سفير السنغال
الأستاذ محمد لبيب البوهى
الأستاذ فوزى عرفة
الأستاذ عبد الحفيظ القرنى

الأستاذ السيد كمال الدين حسين
الأستاذ محمود شلبى
الدكتور محمد العربى الخطيب
الأستاذ حامد محمود الزفرى
الأستاذ عبد اللطيف القيسى
الأستاذ محمد على الطعمى
سماحة السيد محمد محمود علوان

الأستاذ طه عبد الباقى سرور

مع الأبواب الثابتة : منهج التصوف
قصص صوفى : أخبار صـــوفية

الثمن ٥ قروش

القاهرة : مطابع دار الكتاب العربى بمصر : محمد حلمى المنياوى